فاروق جويدة

عمرٌ من ورق ..

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

عمرٌ من ورق . .

الطبعة الأولى

يناير ١٩٩٧

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

المطابع ١٢ ش نوبار لاظوغلى ت: ٣٥٤٢٠٧٩

المكتبة { ١ ش كامل صدقى الفجالة ت: ٥٩٠٢١٠٧
٣ ش كامل صدقى الفجالة ت: ٥٩١٧٩٥٩

تمنّيتُ سُوقًا .. يَبيعُ السِنين

كانت تجلس أمامى تمثالا من الشمع لا نبض فيه ولا حياة ، وأنا أجلس أمامها تلا من الثلوج جمعه فصل شتاء طويل ، وبيننا عشرات المرايا المكسرة ، وخلفنا سنوات عمر جميل تذكرنى بالأطفال فى ساعات الرحيل حينما يعلو صراخهم . لم أكن أسمعها ، ولم تكن هى أيضا تسمعنى ، وتقطعت كل أسلاك التليفونات بيننا ، وذابت حرارة الأشياء. كنا نحتاج إلى عشرات العدسات المكبرة لكى يرى كل منا الآخر، رغم أن المسافة بيننا بطول ذراع .

كانت عيناها باهتتين . ووجهها شاحبا وهزيلاً . وأنا غارق فى سحابات الأمس البعيد ، لم تتكلم ، ولم يكن عندى ما أقوله ، كل المشاعر انسحبت وتراجعت كالجيوش المنكسرة ، كنت أشعر أنها تحاول أن تستجدى الكلمات ولكن دون جدوى .

وحاولت أن أكسر برودة اللقاء وأقول شيئا ، أى شىء .

قلت لها ضاحكا : اخلعى نظارتك السوداء حتى أراك .

قالت : تقصد ترى عينى .

قلت : ربما .

قالت : كيف تراهما الآن بعد سنوات الفراق الطويلة .

قلت : أراهما الآن بحرا بلا شاطئ ، بعد أن استرحت إلى شاطئ .

كنت فى زمان مضى أحب السباحة فى البحار حتى فقدت القدرة على أن أرى شواطئها ، لكننى نسيت السباحة من زمن بعيد . بل إننى أخاف لون البحر ، ملوحته ، أسماكه ، وحشة الأيام فيه .

قالت : السباح الماهر لا ينسى السباحة أبدا .

قلت : لو غرق يوما ما عاد للسباحة مرة ثانية .

قالت : من ترى الذى غرق فينا ؟ ، أنا غرقت قبلك .

قلت : أنت غرقت قبلى ، وأنا أنقذتك من الغرق .

قالت : وأنا .

قلت : دعينا من الماضى ، إنه يؤلمنا أحيانا .

قالت : كن صريحا .

قلت : أنا أنقذتك من الغرق ، وقبل أن نصل إلى الشاطئ وجدت يدك تمتد وتلقينى بعيدا . وخرجت وحدك وابتلعتنى الأمواج .

قالت : كنت أختبر مشاعرك .

قلت : وأنا كنت اختبر نبلك .

قالت : لا أتصور لك عمرا غيرى ..

قلت : هو عمر خاسر .

قالت : ليس فى الحب ربح وخسارة .

قلت : لست أنت التى تتحدثين عن الربح والخسارة .

قالت : يقولون أن قلوب الشعراء تتسامح ، ولكنى أراك لا تتسامح .

قلت : حينما تلتئم الجراح ، يمكن أن نتسامح ، ولكن كيف يكون التسامح ومازال بيننا نزيف يتدفق فى الأعماق .

قالت : مازالت تحبنى . أراهنك ، أدفع عمرى . مازلت تحبنى .

قلت : مازالت أوهامك القديمة .. حينما تصورت أن الأشياء منك وإليك، وأننى سأهاجر إلى كل بلاد الله . وليست لى بلاداً غيرك ، أنت واهمة .. ما أبعدنى عنك الآن ، وما أبعدك عنى .

قالت : ولكنى أحبك ، مازلت أحبك .

قلت : هذه الكلمة أهينت كثيرا ، أهينت فى أفلامنا ، ومسلسلاتنا ، وسلوكياتنا ، ومعاملاتنا ، والكل يبيع ، كم تكون الكلمة ذات قيمة حينما تحترم ، وكم تكون رخيصة حينما تهان .

قالت : أنت رجل معقد ، لا تثق فى أحد حتى نفسك .

قلت : اكتشفت يا سيدتى أن نفسى هى الشىء الوحيد الذى ينبغى أن أحبه بلا مقابل ، فهى لا تطلب منى شيئا ، وأنا أعتقد أنها تستحق هذا الحب .

قالت : هذا غرور وأنانية وجنون .

قلت : قد كنت أنت غروری ، وجنونی ، يوم أحببتك شعرت أننی أغنى أغنيـاء الأرض، ولم يكن مـعی شیء يومـهـا ، وحلقت بك إلى أعلى السماوات حتى أصبح حبك نوعا من الجنون.

يا سيدتی لن تجدی مجنونا آخر يحبك مثلما أحببتك .

قالت : وأنا مازلت أحبك .

قلت : فی أمـريكا وأوربا الآن توجـد أسـواق لبـيع الأجـزاء البـشـرية ، كالقلوب والعيون ، وليس ببعيد أن نجد يوما سوقا لبيع سنوات العـمـر ، وإذا حـدث هذا فـسـوف أكـون أول من يذهب إلى هذه السوق ، لأشتری مرة أخرى أيامی معك . ربما أحبك مرة أخرى.

وحين افترقنا .

تمنيت سوقا يبيع السنين .

يعيد القلوب ويحيی الحنين .

تمرد قلبی وقال : انتهينا .

ودعنا من العشق .. والعاشقين ..

غُرَباءُ هَذا الزَّمَان

قالت : ألاترى معى أننا أصبحنا أشجاراً غريبة جاءت فى غير زمانها فى هذا العالم العجيب الذى لم يعد يعترف إلا بالحشائش والأشجار قصيرة القامة ؟.

أليس من الغريب أن يصبح النخيل غريباً فى أرضه ، وأن تصبح الأزهار عملة غير قابلة للتداول .. وأن تختفى العصافير خوفاً .. وتسود الغربان بهتاناً وزوراً ... .

هذا زمان اختلت موازينه .

قلت : لو أصبح العالم كله أوكار غربان وخفافيش ، فسوف أظل أغنى، فالعصافير خلقت للغناء ، والخفافيش خلقت لتكمل تلك الدائرة السوداء فى ليالى الظلام الطويلة ، ومهما طالت ساعات الليل وطافت على العين الأشباح ، وارتفعت أعداد الغربان ، فلن ينسى الناس أصوات العصافير . إن قبح الغربان يزيدنى إيماناً بجمال العصافير .. ولولا القبح .. ما عرف الإنسان الجمال .

قالت : ولكن الناس تنسى ..

فى زحام القبح قد ننسى الأشياء الجميلة .. وفى دوامات الإحباط قد يهجرنا الأمل ..

وفى غيبة العصافير يعتاد الناس على قبح الغربان ..

إن أسوأ الأشياء فى الإنسان أن يعتاد على القبح .

قلت : أنا أعتقد أن سعادة العصافير لأن الناس تحب غناءها ، فالمتعة الحقيقية أن العصفور يغنى لنفسه أولاً. إنه يحاول أن يمتع نفسه . إن العصفور لا يجد حوله - مثل لاعب الكرة - جماهير تصفق له وتردد اسمه . إنه يقف وحيداً على غصن شجرة بعيدة ويغنى .. لأن اللّه خلقه للغناء ، وسوف يظل يغنى سواء سمعه الناس أو لم يسمعوه .

فلا تحزنى يا صديقتى إذا صرنا أغراباً كالعصافير ، وغنينا وحدنا ولم يسمعنا أحد ..

قالت : ولكننى أكاد أشك فى مثاليتك . هل هناك بشر يفكرون كما تفكر ، ويعيشون كما تعيش . ؟

قلت : حينما تختل موازين الأشياء يصبح الجمال هو الاستثناء ، ويصير القبح هو القاعدة . فنقول فلان صادق ، وكأن الكذب هو القاعدة، والصدق هو الاستثناء ، وهذا زمان مختل ، فأنا لست مثالياً، فكل إنسان يختار حياته . هناك من يقبل على نفسه أن يلقى فى صناديق القمامة ، وهناك من يقبل أن يكون ذيلاً أو حامل مبخرة ، أو

دجالاً فى السيرك . وهناك أيضاً من يدفع عمره ولا يقبل أن يكون فى غير مكانه .. .

لقد اخترت أن أكون فى مكانى حتى ولو كان الثمن كبيراً . .

قالت : هل اخترت هذا ؟

قلت : تعلمت من الحياة أن البشر معادن . لكل معدن ثمنه . ولكل إنسان قيمه ، لن يتساوى الصفيح مع الذهب ، فنحن نصنع بالصفيح صناديق القمامة ، ونزين بالذهب صدور النساء . ولن يتساوى الزجاج مع الماس رغم أن كليهما يحمل البريق .. .

فمهما زيفت مصانع الزجاج الألوان ،.والأطياف ، فإن خبراء المجوهرات يعرفون المزيف من السليم ، وكثير من الناس ما زالت لديهم البصيرة لأن يدركوا أقدار البشر .

قالت : وهل فى الحب عملات مزيفة ؟

قلت : أكثر الأشياء زيفاً فى عالم اليوم مشاعر البشر . كم من الابتسامات تخفى وراءها الخناجر ، وكم من الأحضان تخفى وراء الدفء كل ألوان الغدر ، وكم من أقوال فى الحب لم تعرف للصدق طريقاً .

إن الحب من أكثر الأشياء التى فقدت بريقها بين الناس ؛ لأن الناس زوروه كثيراً ، هناك عشرات الأقنعة ، وخلف كل قناع تختفى أكذوبة كبرى .

قالت : إنك متشائم .

قلت : لست متشائماً ، ولكننى أحب الحياة ، ومشكلتى أننى أريد الحياة التى أحبها . أو بمعنى آخر أريد أن تصبح الحياة كما أحب.

قالت : وكيف أعرف الصدق والكذب فى الحب ؟

قلت : هناك اختبار واحد اسمه الزمن ، لا يستطيع الإنسان أن يقاومه ، والصدق هو الشىء الوحيد القادر على مقاومة متغيرات الزمن، فكل الأشياء تصدأ إلا الصدق .. فاتركى الحب للزمن لأنه سيبقى إذا كان يستحق الحياة .

قالت : وكيف أعرف أنك تحبنى ؟ ربما تكون مزيفاً كالآخرين .

قلت : اتركى إحساسنا للزمن ، فلن أحتمل أن أبقى معك لحظة زيف واحدة . وإذا وجدتها تتسلل إلى قلبى يوماً فسوف أقول لك بكل الصدق : لم أعد قادراً على أن أحبك كما كنت . لا تحزنى يومها لأننى أحترم صدقى . كما أحترم حبى . وماذا يساوى الحب إذا مات الصدق فيه ؟.

ويموت فى الخيل الصهيل

قالت : أى الأشجار تحب ؟

قلت : أحب أشجار النخيل ..

تذكرنى بوطنى حينما تعصف بى ليالى الغربة .. ونحن قد نعانى كل أنواع الحزن فى أوطاننا .. ولكن أوطاننا تسكننا .. وقد يجرب الإنسان أوطانا وأوطانا ويشعر أن تراب وطنه يسرى فى دمه ..

تذكرنى أشجار النخيل بالإنسان حينما يرتفع فوق الصغائر .. ويعلو فوق الأشياء ويصبح الشموخ ظلاً لا يفارقه .

قالت : ولكن الأوطان تبدو أحياناً قاسية .. حينما تسرق أمانينا ونتحول فيها إلى غرباء ؟ ما أكثر الأوطان التى تعطينا اسمها ... وتأخذ منا الأمان ...

قلت : رغم قسوة أوطاننا فإننا نحبها ..

إننى لا أحب ذلك القول الذى نردده دائماً فى أغانينا « حب

الوطن فرض على » فالحب ليس فرضاً .. ولم يكن الحب فى يوم من الأيام مفروضاً على الإنسان .

الحب هو الشيء الوحيد الذى لا يعترف بمنطق القوة .. إنه اختيار .. وفي الاختيار إرادة .. والإرادة أبعد ما تكون عن الفرض .. والاختيار من أرقى مراتب السلوك فى الإنسان .

إننا نحب أوطاننا لأنها تمثل جزءاً عزيزاً من أعمارنا.. فالوطن هو المكان الذى نولد فيه .. ونتمنى أن ندفن فى ترابه، حتى ولو فرقتنا الأيام ، نختار أن تكون لحظة النهاية فى أحضان أوطاننا حتى ترتفع فوق أجسادنا أشجارها ، وتنساب فى صمت ليالينا أغانيها ..

فالوطن مثل الأم تماماً نشتاق صدرها فى لحظات الضعف أكثر مما نشتاقه فى ساعات القوة . وهذا هو الوطن . الصدر الذى يحتوينا ويلملم أشلاءنا ، ويحتضن أحلامنا ، ويشاركنا فرحة العمر وأحزانه . إننا لا نحب فيه قطعة أرض أو حفنة من تراب .. إننا نحب فيه أحلامنا وعمرنا الجميل .

قالت : ولماذا تحب أشجار النخيل بالذات ؟

قلت : أشعر فيها بالتفرد والتميز ، فرغم كل نظريات السياسة والاجتماع والاقتصاد فأنا مازلت أحترم فردية الإنسان .

إننى أومن أن الفرد جزء من الجماعة ، ولكن حضارة الإنسان صنعها بعض الأفراد ، وأن التميز من حق الإنسان ، وأن منطق القطيع فى العلاقات البشرية منطق متخلف ومرفوض ، ولعل هذا ما اكتشفه

«جورباتشوف » أخيراً فى الاتحاد السوفيتى ، وما اكتشفه الطلبة حينما ثاروا فى ميادين « بكين » يطالبون بالحرية .. والحرية هى النقطة الأولى التى ينطلق منها إحساس الإنسان بذاته وفرديته .

أن أشجار النخيل تذكرنى بالقامات الطويلة فى البشر ، تتزاحم حولها قامات صغيرة كثيرة ، ولكنها تبدو من بعيد شامخة .. كم عدد الأجيال التى عاشت فى إنجلترا ؟ آلاف الملايين عبر التاريخ الطويل ! ولكن إنجلترا لم تنجب غير شكسبير واحد .. وبنفس الطريقة يقف «بيتهوفن ».. و « شوقى »

قالت : ولكن هناك بعض أشجار النخيل العملاقة التى لا تعطى ثماراً ؟

قلت : أنا لا أتحدث عن القامات الطويلة التى تحمل عقولاً فارغة ، فأنا لا يخدعنى الشموخ المزيف ، فقد تطول القامات وتخفى جهلاً ، وقد يبدو الرجل مهيباً فإذا تحدث نطق كفراً .

قالت : وماذا تحب فى أشجار النخيل !

قلت : أحب ثمارها .. فالبلح من أجمل أنواع الفاكهة .. وفى طعم التمر صلابة أشجاره ، وأيضاً صبرها .

تذكرنى أشجار النخيل بالصبر والقدرة على التحمل .. إن شجرة النخيل تغلف جسدها بعشرات الثياب التى تحميها من الناس والحياة والجو والزمن . وأشجار النخيل تتحمل قسوة الصحراء .. وندرة المياه .. وهى لا تحتاج للإنسان كثيراً ، فهى تعتمد على نفسها فى كل الأحوال

.. تضرب جذورها فى الأرض حينما يأتى موسم الجفاف .. وتتحمل شمس الصحراء أعواماً طويلة .. وتزداد صلابتها إذا جاءت عواصف الشتاء .. إنها فى كل الحالات تشبه القامات الطويلة الصلبة فى البشر

قالت : ولكن القامات فى زماننا أصبحت قصيرة .. وفقدت شموخها وجلالها ، وغابت أشجار النخيل .. ؟ ألست معى أن الأحجام صغرت والقامات توارت .. والهمم تراجعت ؟

قلت : أشجار النخيل لا تصلح فى كل أرض .. ولا تنبت فى كل مناخ ، ولا تظهر فى كل زمان .

إنها تختار زمانها ، وتختار الأرض التى تنبت فيها ، والمواسم التى تثمر فيها ، مثل المواهب الكبرى فى تاريخ الإنسانية فى الفكر والسياسة والإبداع .. المواهب الكبرى لا تظهر فى كل زمان .. وقد نزرع النخيل ولا يعطينا الثمار التى نحبها .. .

إن أشجار النخيل تحتاج إلى زمان يمنحها الحلم ، والدفء ، والأمان ، حتى ترتفع قامتها فى السماء ؛ لأن زمن القامات القصيرة لاتظهر فيه أبداً أشجار النخيل .. .

الطقس هذا العام ينبئنى بأن شتاء أيامى طويل ،
وبأن أحزان الصقيع تطارد الزمن الجميل
وبأن موج البحر ضاق من التسكع والرحيل
أدركت من سفرى وترحالى وفى عمرى القليل
أن الزهور تموت حين تطاول الأعشاب أشجار النخيل
أن الخيول تموت حزناً .. حين يهرب من حناجرها الصهيل .. .

أكذوبة العمر الجميل

قلت لها : لو عادت ليلى .. لتمنيت أن أكون أنا المجنون .

قالت : لا عادت ليلى .. ولا أنت المجنون .

قلت : كان زمانا جميلا .

قالت : كان زمان تخلف .. خيمة وجمل وأيام فقر وحاجة .. ولا أعتقد أن هناك من يحب فقره أو حاجته .

قلت : كان زمان راحة البال والهدوء والقناعة .

قالت : وماذا تقصد براحة البال ؟ هذا كلام فارغ .

راحة البال أن تكون قادراً أن تملك الأشياء ..

أن تشعر بالأمان المادى والنفسى والحياتى ..

أن تجد فى جيبك ودفتر حساباتك وأرصدتك ما يكفيك .

أن تحقق رغباتك كما تريد ..

أن تجد أحلامك بين يديك .

إذا دخل الفقر من الباب هرب الحب من الشباك .

نحن الآن نعيش فى أزهى وأجمل عصور التاريخ .. وأنت رجل متخلف .

قلت : سامحك الله يا صديقتى .

راحة البال عندى ..

أن أقنع بما فى يدى ، وألا أنظر إلى ما فى أيدى الآخرين .

فقد يكون ما لدى قليلاً .. ولكنه بالقناعة يصبح أكثر من الكثير، وقد يكون معى الكثير .. ولكنه بالجشع يصبح أقل من القليل.

راحة البال يا سيدتى أن أنام فى الهواء الطلق ، ولا تحاصرنى أنفاس بقايا أجهزة التكييف وعادم السيارات واللوريات..

أن أضىء فى الليل شمعة وحيدة وأسمع على ضوئها أصوات العصافير العائدة إلى أغصانها .. وأن يتسلل ضوء الصبح إلى أعماقى فيطهرنى ويغسل عنى هموم الزمن ..

ألا تحاصرنى أصوات الطائرات ، والسيارات ، والأتوبيسات ، والمدافع ، وصرخات المسجونين ، والكتل الخرسانية التى تخنق كل الأشياء حولى .

راحة البال أن أرى السعادة فى عيون حبيبتى ، وألا أفتح عينى

على أشلاء القتلى فى الصحف والتليفزيونات التى تشعرنى أننا نعيش عصر المذابح الإنسانية ..

راحة البال .. أن أقرأ فى الصحف أن فقراء العالم قد شبعوا ، وأن دكاكين الدمار أفلست وأغلقت أبوابها ، وأن تجار السلاح دخلوا مستشفى الأمراض العقلية ، وأن العالم القبيح أدرك قيمة الجمال بعد رحلة عذاب طويلة ..

إن مجنون ليلى كان محظوظاً بحبه لليلى ..

فقد يمتلك الإنسان أرصدة الدنيا يشترى بها العقارات والمطارات والأراضى ، ولا يستطيع شراء قلب . قد يملك الإنسان كل الأشياء ويعجز أن يمتلك قلب امرأة أحبها ، ولم تحبه ، وأرادها وهى لا تريده ، فما أجمل أن تجتمع الإرادتان فى لحظة إحساس صادق تساوى أرصدة الدنيا ..

إن تعادلية « توفيق الحكيم » كانت على حق ، فلن نأخذ من الحياة إلا بعض الأشياء ، ولن نستطيع أبداً ومهما حاولنا أن نأخذ منها كل شىء .

فقد تعطينا المال .. وتسلب منا الصحة .. وتعطينا المجد وتسلب منا الطمأنينة .. وتعطينا الحب وتأخذ منا المال ، ونشعر أننا أغنى من كل أغنياء الأرض ..

فالحب تاج على رءوس العشاق لا يراه إلا من لم يعرفوا قدره ..

قالت : أنت تعيش فى زمان غير زماننا .. أنت لا تشعر بقيمة الأشياء التى بين يديك ..

لا تشعر بقيمة الطائرة التى تختصر الزمن ..

لا تشعر بقيمة الطبيب الذى ينقذ حياتك .

لا تشعر بقيمة التليفون الذى يوصلك فى كل لحظة بمن تحب ، هذه كلها أشياء عظيمة خدمت الإنسان وساعدت على راحته .

قلت : أنا أحب مثلك كل هذه الأشياء ، وأعترف أنها خدمت الإنسان ، وساعدت على راحته ..

ولكن الطائرة تختصر لنا الزمن ، وما نختصره فى الطيران يضيع منا على الأرض فى هموم يومية ومتاعب تأكل أيامنا .

إننا نموت فى هذا العالم كل يوم ألف مرة ..وإذا كانت الطائرة تستقبلنا بالزهور فى رحلة صيف جميلة فهى أيضاً تلقى القنابل فوق رءوسنا فتبدد أحلامنا وتغتال أمانينا ..

إن الطبيب يعالج المرضى .. ولكن ماذا يفعل الطبيب فى أكوام الهرمونات والأسمدة الضارة والكيماويات التى يضعها الإنسان فى الشجرة لتعطيه ثماراً أكثر حتى ولو كانت هذه الثمار نوعاً من السموم البطيئة .

وإذا كان التليفون الذى تتحدثين عنه يوصلنا بمن نحب فى أى وقت نشاء ، فإن الأشواق يا سيدتى لا تحتاج لحرارة التليفون .. إن حرارة التليفون أحياناً تفقدنا حرارة الإحساس والمشاعر ..

وأنا أفضل حرارة مشاعرى على حرارة تليفونك المزعوم .

قالت : أنا لست ليلى ، ولا أتمنى أن أكون .. فأنا سعيدة بزمانى أعيشه كما أحب .

قلت : وأنا لا أستطيع أن أكون المجنون .. ولا أملك إلا أن أعيش زمانى مثلك .. وأن أحبك كارهاً..

قالت : تحبنى كارهاً .. أنا لا أريد حبك هذا ..

أمامى العشرات غيرك ، فما أكثر الذين يتمنون حبى ..

قلت : رسبت ياصديقتى فى أول امتحان ..

فأنا لا أريد امرأة أعطيها قلبى لتتركنى فى أول محطة قطار وتعطى قلبها لشخص آخر ..

وداعاً يا أكذوبة العمر الجميل .

عن العشّاق .. سألونى

قالت : ما الفرق بين الحب والزواج ؟

قلت : الزواجُ ضرورة والحب اختيار .

الزواج هو البيت .. والأبناء والمسئولية .. والاستقرار .

والحب .. هو الأشواق والحيرة .. والرغبة والألم .

وقد يكون الزواج مشواراً طويلاً أجمل ما يبقى منه « العشرة ». أما الحب فقد يكون مشواراً قصيراً أجمل ما فيه الذكرى ، والزواج رحلة ننتظر ثمارها فتمنحنا الأمل .

والحب مركب صغير يحملنا .. ولكن بلا شطآن .

والحب عادة لا يعرف للأمل طريقاً .. وهذا سبب حيرتنا فيه .

وفى الزواج نتكلم أحياناً لغة المصالح والحسابات والأرقام ، ولكننا فى الحب نبتعد كثيراً عن هذه اللغة لتبقى لغة المشاعر .

فى الزواج قد نعرف ماذا ينتظرنا غداً .

وفى الحب لا نعرف ما الذى تخبئه لنا الأيام .

فى الزواج قد يؤرقنا الملل .

وفى الحب تؤرقنا الأشواق .

والزواج يتكرر بورقة صغيرة وشاهدين ورجل عجوز نسميه المأذون، وفى الحب قد ندفع العمر ثمناً للحظة واحدة نتمنى أن نعيشها ولا نستطيع ..

قالت : معنى هذا أن الحب أجمل .

قلت : ولكن الزواج أبقى .

قالت : وماذا تقصد بالبقاء ؟.

قلت : الزواج أكثر قدرة على مواجهة الحياة لأنه أكثر واقعية ، ولكن قدرة الحب على التحمل قليلة لأنه أكثر خيالاً .. والرجل قد يتزوج أكثر من امرأة .. هذا جائز بالعرف والتقاليد والدين .. ولكن الرجل لا يستطيع أن يحب أكثر من امرأة واحدة ..

فالزواج يقبل الشريك .. ولكن الحب لا يقبل .

قالت : ولكن التعدد من عاداتنا ؟

قلت : وأيضاً من عاداتنا العاجزة .. ورغم هذا فهو موجود .. المرأة تقبل شريكة لها فى الزواج تحت ظروف الحياة والأبناء ومتطلبات الزمن ، ولكننا فى الحب لا نقبل الشركة فإما الشخص كاملاً .. وإما لا سبيل إلا الفراق ..

قالت : معنى هذا أنك ترى أن الحب أفضل من الزواج ؟

قلت : لا أقصد هذا بالتحديد حتى لا يغضب منى أحد ..

ولكننى أعتقد أن أسوأ ما فى الزواج أن يدخل فى باب الممتلكات فيتحول الزوج والزوجة إلى قائمة المقتنيات مثل الأثاث والأدوات الكهربائية وعقود شراء العقارات ؛ لأن أجمل ما فى الحب هو الاختيار .. والإرادة الحرة ، فالزوجة قد تمتلك زوجاً .. والزوج قد يفرض الوصاية على زوجته ، ولكن الحب إرادة .

إن العصفور يدخل عش الحب حينما يريد . ويرحل حينما يشاء ، ولكن الزواج قفص من الذهب الجميل ندخله بإرادتنا ولا نخرج منه إلا مع إرادة الله.

قالت: وماذا عن الحب بعد الزواج..هل يمكن أن يأتى الحب بالزواج ؟.

قلت : أجمل أنواع الزواج زواج يقوم على التفاهم .. لأن التفاهم يخلق الحب .. ولكن الحب لا يفتح دائماً أبواباً للتفاهم ..

قالت : وماذا تقصد بالتفاهم ؟

قلت : أن تكون هناك موجات اتصال بين المحبين .. ألا تدخل بينهم عمليات التشويش .. ألا يكمل أحدهما كلامه ورغم هذا يفهمه الطرف الآخر .. أن يشعر الإنسان بالأشياء قبل حدوثها ، ويسمع الكلمات قبل أن تقال .. إن غياب التفاهم يذكرنا بشخصين يتحدث كل منهما لغة مختلفة .. ولا يفهمان شيئاً ، ويحاول كل منهما أن يستخدم

يديه وعينيه فى الحركات والإشارات ، وينتهى بهما الحوار الصامت إلى أقرب نقطة للبوليس .

قالت : أنا أرى أن الحب والزواج وجهان لعملة واحدة .. فلا حب بغير زواج .. ولا زواج بغير حب .

وهذه طبيعة الحياة والأشياء والبشر .. ولابد للدائرة أن تكتمل .

وأنا لا أتصور الزواج بدون حب ..

ولا أتصور أن ينتهى الحب إلا بالزواج .

قلت : هذا ما يتمنى كل منا أن يعيشه وأن يراه ، ولكن ما أكثر الأزواج بغير حب .. وما أكثر قصص الحب اللقيطة التى تشردت أمام سماسرة العقارات وتجار العمارات ومحاولات البحث عن مأوى ..

ما أكثر قصص الحب الحائرة فى الشوارع بلا مكان ، تبحث عن لحظة أمان واحدة .

فالذين يملكون القصور قد لا يعرفون الحب .. والذين لا مأوى لهم قد يحملون مشاعر حب تكفى ملايين البشر .. ولكنها الحياة.. .

الـزمـن الخـاص

حينما أكون معك أشعر أننى خرجت من زمن الناس إلى زمنى .

فأنا معك أملك زماناً خاصاً يختلف تماماً عن الزمن العام .

وأنا أرى أن هناك فرقاً كبيراً بين زمان تفرضه طقوس الحياة والأشياء ، وزمان نصنعه نحن بأيدينا .. هناك فرق بين أيام الناس وأيامنا .. وعمر الحياة وأعمارنا .. وأشياء الناس وأشياءنا .

فالزمان عند الناس تختلف قيمته ومكانته فى النفوس . فالإنجليز مثلاً يضبطون دقات قلوبهم على دقات ساعاتهم .. ولكننا فى عالمنا العربى نحسب اليوم بطلوع الشمس وغروبها .. ونحسب الشهر بظهور الهلال ورحيله .. ونحسب العمر بسنواته ..

ولكننى معك أشعر أننى أصنع زماناً يخصنى وحدى .

تتوقف رتابة الأشياء .. ويختلف طعمها . فالدقيقة معك ليست مثل كل الدقائق التى نقضيها ونحن فى انتظار إشارات المرور أو طابور الجوازات أو فاتورة الكهرباء .

الدقائق معك لها معنى أشعر فيها أننى جمعت عشرات السنين فى لحظة .. واسترجعت مئات الألوان فى دقيقة .. وأننى أغوص فى الزمن كما تندفع السفينة فى النهر فأرجع بالمحار واللؤلؤ والذكريات . الزمان معك ليس ككل الأزمنة . فالأزمنة تشابهت فى حياة الناس لايفرق الإنسان بين عشرينات العمر ، وسبعيناته .. فكلها سنوات تمر وترحل مثل قائمة الأكل التى اعتاد الإنسان عليها فى مطعم عتيق لم يحاول أن يغيره مرة واحدة.. فالوجبات هى الوجبات .. والمائدة القابعة بجوار النافذة لا تتغير .. وحتى الجرسون العجوز ينظر فى بلاهة وهو لايعرف شيئاً غير أن يضع السكين بجوار الطبق .. ثم يمضى ، وهذا هو كل ما فعل بعمره .

إننا لا نشعر أن الزمان يتغير حولنا حينما نعتاد رتابة الأشياء ، نقف أمام المرآة كل صباح نشاهد ملامحنا .. ولون شعرنا .. وابتساماتنا وشحوبنا .. ونتصور أن الصورة ثابتة ، ثم نكتشف أن المرآة تكذب علينا وأنها تدور ونحن واقفون .. وتتحرك ونحن جامدون، وأن ما نراه اليوم ليس هو ما شاهدناه تماماً بالأمس .. وأن صورة اليوم لن تكون كصورة الغد .. وننسى فى زحمة الحياة أن كل شىء فينا يتغير ونحن لا ندرى .

شهادة الميلاد ترتفع أرقامها .. رصيد العمر يتراجع .. خطوط الوجه يكسوها الشحوب .. التجاعيد المسرعة تطارد الشعيرات البيضاء المتناثرة كحرائق الغابات فوق رءوسنا .

ويظل الزمن يمارس معنا لعبة مضحكة وهو ينظر إلينا من بعيد

فى خبث شديد ، ثم يضع يده فى جيوبنا ، ونكتشف فجأة أنه مارس معنا أكبر عملية سطو فى التاريخ .. فقد سرق أغلى ما عندنا .. سرق سنوات العمر ، ومعها كثير من الأحلام والذكريات والأيام الجميلة .

هذا هو الزمن الذى يلعب معنا لعبة القط والفأر .

ولكن معك أصبح للزمن قانون خاص .. فأنا أعيش العمر معك أكثر من مرة .. وأسترجع اللحظة مرات ومرات .. وأضع يدى على مفاتيح الزمن وأوقفه حينما أريد .

فإذا كان البعض يرى أن الزمن مساحة أفقية فأنا أرى أن الزمن الحقيقى فى عمق الأشياء وليس فى مساحتها .. وحينما يغوص كل منا فى أعماق الآخر يرى بلاداً وأوطاناً وناساً وحياة تختلف تماماً عن هذه الحياة ... فيصبح اليوم أطول .. وتصبح الدقيقة أكثر رحابة .. والسنون أكثر كرماً .. ويصير العمر أكثر عطاء .

لقد جردت زمانى معك فأصبحت أراه فى عينيك ، وأسمعه فى صوتك ، وألمحه فى يديك طفلاً وادعاً هادئاً ينظر إلينا فى خجل .

وبعد سنوات طويلة لن أندم على شىء .. فقد عشت معك كل شىء .. لن أبحث عن أمنية قديمة أو تذكارات طوتها الأيام ، أو بعض الليالى التى سرقها العمر منى فى غفلة .. سوف أسترجع تلك اللحظات التى عشناها معاً وأكمل بها عمرى .

ما أضيع الناس الذين سجنوا أنفسهم فى الزمن العام ، فلو أنهم صنعوا لأنفسهم زماناً خاصاً لاكتشفوا أن الحياة غير الحياة .. وأن المشاعر غير المشاعر .. وأن الناس غير الناس .

حـــوار مع صـــديق جـاهل

قال : فى أى زمان تمنيت أن تعيش ؟.

قلت : زمان بلا قهر وعصر بلا سجان ..

زمان يحترم الضمائر ولا يتوج الصغائر ..

زمان يقدس العقل .. ولا يمتهن الوجدان .

زمان تنبت فيه الزهور ولا تعبث فيه الأفاعى ،

هذا هو الزمان الذى أتمنى أن أعيش فيه .

قال : ولكن أى الأزمنة كانت بدون قهر .. وأى العصور كان بلا سجان. فى كل الأزمنة سادت الصغائر على الضمائر .. وامتهن العقل والوجدان .. إن ما تطلبه يدخل فى خيالات الشعراء .

قلت : فى تاريخ الإنسانية لحظات نقاء كثيرة ، ولمحات ضوء وفترات من السمو الإنسانى يمكن أن نتوقف عندها ..

قال : ذكرنى إذا كنت قد نسيت .

قلت : انظر إلى عصر رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - وحاول أن تسترجع رحمته .. وبساطته ورجولته وكرمه .. سترى يه نموذجاً إنسانياً متكاملاً فى العقل والسلوك والوجدان .. .

انظر إلى صحابته .. عدالة عمر .. ورجولة خالد .. ورحابة أبى بكر .. وترفع على .. كانوا عظماء فى كل شىء ..

قال : ولكن هذا زمان بعيد .. لقد كان الرسول معصوماً . وكان صحابته - رضوان الله عليهم - أئمة للناس .. هذا عصر لاقياس عليه.

قلت : انظر يا صديقى إلى عمر بن عبد العزيز وقد جاء بعد هؤلاء جميعاً ، هذا الشاب الصغير الذى ضرب مثلاً فى الزهد والعفاف والعدالة ، لم يكن حاكماً عادلاً فقط ، ولكنه كان إنساناً عظيماً بكل المقاييس .

قال : وانظر إلى الحجاج مثلاً .

قلت : سيبقى لكل زمان « حجاجوه ».. ولكن الصبح هو الذى يشعرنا بقسوة الظلام ..والبطش هو الذى يشعرنا بسماحة الرحمة ، والسجون هى التى تشعرنا بقيمة الحرية .

قال : ولكن تاريخنا فيه جوانب ظلم وظلام كثيرة .

قلت : وفيه نقاط ضوء أكثر ..

إذا تذكرت بطش الحجاج ، فتذكر عدالة « عمر بن عبد العزيز» ، وإذا تذكرت قبح أبى جهل .. فتذكر شهامة خالد .

وإذا تذكرت نقائص أبى لهب فتذكر كمال عمر .. وإذا طافت برأسك مؤامرات معاوية فلا تنس سماحة على . وإذا تذكرت هند الهنود فأمامك خديجة وعائشة وأسماء وفاطمة .

قال : ولكن تاريخ العرب يحتاج إلى مراجعة شاملة .. فى الغرب تجد لكل فترة رجالها وأحداثها وقضاياها ..

ولكن ماذا فى تاريخ العرب غير الدماء ..

قلت لصديقى الجاهل : فى تاريخ العرب فترات مجد كثيرة . ولكننا ننسى ..

تذكر أن خالد بن الوليد اكتسح جيوش الروم والفرس ، وأن عقبة ابن نافع وقف على حدود الأطلنطى .. وأن طارق ابن زياد وصل إلى حدود فرنسا .

تذكر يا صديقى ابن رشد والغزالى .. وابن سينا والفارابى والبخارى والشافعى وابن حنبل وأبا حنيفة وابن خلدون وابن الهيثم .. تذكر صلاح الدين ، هذا النموذج الإنسانى الرائع فى الصبر والتسامح والقوة ، ضع ياصديقى خالد بن الوليد بجوار كل قادة الغرب العسكريين ابتداء بنابليون وروميل ومونتجمرى ستجد أنه يزنهم جميعا .. وأضف إلى هذا أنه سيف الله المسلول ..

ضع يا صديقى ابن رشد والغزالى وابن خلدون أمام هيجل .. وماركس .. و« كانت » ستجد أنهم أكبر قدراً وأعظم أدواراً ..

ضع المتنبى والمعرى وابن زيدون .. والجاحظ وحسان وابن أبى ربيعة والبحترى والعقاد وشوقى ومحمد عبده والافغانى وطه حسين والحكيم ونجيب محفوظ ، ستجد أن هؤلاء جميعاً ليسوا أقل من شكسبير وبودلير ودانتى وجيته وفيكتور هوجو وألبير كامى وسارتر وبيرون وشيلى ..

ضع يا صديقى فنون العمارة بكل ألوانها وطقوسها والموسيقى والفن والطب والفلسفة .. ستجد أن الثقافة العربية كانت أغنى وأعظم.. ولكن الزمان تغير .

قال صديقى : وما الذى تغير فينا ؟

قلت : تغيرت معادن البشر .. تراجع الإيمان ، وتكسرت الصلابة.. وغابت ظلال العدل .. وتقهقرت جيوش الحق ، وسقطت الحدائق تحت نيران القهر ، وتاهت العصافير فى ظلمات السجون ، وارتفعت قامات الأقزام ، وهوت قامات الأشجار .

يا صديقى أنا على يقين أننا أمة عظيمة وأننا صناع حضارة وأن الخير فينا إلى يوم القيامة .. ويوم تختفى أشباح السجون ، وسراديب المعتقلات ، ونعرف ما بين أيدينا من قدرات ، سنعود مرة أخرى ونصبح خير أمة أخرجت للناس .

مأساتنا أننا لانقرأ التاريخ ، والشعوب التى لا تعرف تاريخها شعوب فقدت ذاكرتها ولا تستحق أن تعيش ..

اقرأ يا صديقى تاريخ أمتك .

من خطايا الشعـــراء ..

قـالت : هل انتـهت قـصـائد المديح .. أين قـصـائد الشـعـراء فى أصحاب السلطان .. ولماذا لم تمدح أحداً فى شعرك ؟.

قلت : لأننى أرفض أن أرى دمائى تستباح تحت أقدام الآخرين.. إننى أحترم كرامة الإنسان .. صغيراً كان أو كبيراً ، ولا أقبل أن تسفك دماء إنسان لتزين طريقاً لآخر مهما علا قدره ..

قـالت : ولكن شعراء غيرك مدحوا .. إن معظم الشعـر العربى يدخل فى باب المديح ، وأنت لست أفضل منهم ..

قلت : أنا لا أحب أن أقارن شاعراً بآخر .. فلكل شاعر موهبته ولونه.. ولكننى أقارن الشعراء فى مواقفهم ، ولا أقارنهم فى مواهبهم.. فما أكثر المواهب العظيمة التى تسربت فى سراديب السلاطين..

إن أعظم مـا يمكن أن نقدمه لشاعـر هو حريته فى أن يقـول ويغنى كيفما شاء .. ما قيمة أن نعطيه أكياس الذهب ونلقيه بين

القضبان .. لقد عاش الشعراء زماناً طويلاً فى بلاط الحكام .. وكان الشاعر لا يرى نفسه إلا بجوار حاكم يرفع قامته ويعلو به فوق الناس ..

كان الشاعر يشعر بالأمان كلما جلس إلى أصحاب السلطان ، ولكن الزمان تغير ، ووجد الشاعر أن قامته بين الناس أعلى بكثير من قامته بجوار السلطان .. وأن هناك عشرات الأعناق من البشر سوف ترفعه إلى السماء ليصبح الشاعر أطول قامة من كل زمانه .. إن الشاعر بين الناس يكبر بهم .. والشاعر مع السلطان يكبر عليهم .. وهناك فرق كبير بين أن يكبر بهم وأن يكبر عليهم .

لقد علمنى والدى منذ كنت صغيراً أن السلطان من بعد عن السلطان ، ولا تأمن السلطان حتى لو اقترب منك ، لأن الذى يمنح يستطيع أن يسترد .. والذى يرفع يستطيع أن يخفض .. والذى يمنح القصور يستطيع أيضاً أن يحفر القبور .. وأنا لا أريد شيئاً لا يكون من حقى أن استرجعه ..

قالت : وماذا تريد ؟

قلت : أريد حريتى ..

أشتريها بكل أموال الدنيا .. أن أقول ما عندى ولا أخشى أحداً..

أن أشعر أننى أملك الأشياء بصدق ، ولا أملكها بسيفى ، أن تحملنى الأعناق حباً .. لا خوفاً ..

أن أشعر أن قلوب الناس ، وطنى ، وبيتى ، وملاذى .

أنا لا أريد قصرا كبيراً لا أستطيع أن أنام فيه ، ولكننى أريد بيتاً صغيراً أشعر فيه بالأمان ..

أنا لا أريد مجداً يسلبه منى صاحب قرار .. ولكننى أريد المجد الذى أستحقه .. إذا كان من حقى .

أنا لا أريد كرسياً مريحاً تطول به قامتى ويسحبونه منى لأجد نفسى على قارعة الطريق .. ولا أريد أماناً مزيفاً يصبح فى لحظة سجناً يحتوينى ..

فى حريتى أكتب ما أريد ولا أخشى أحداً غير ضميرى .

وحينما يرتاح ضميرى لن أخاف على يومى ولا غدى ، لأننى أملك عمرى وزمانى .. وأشعر أن أبنائى سيكونون أسعد حالاً منى ، وأن غدى سيكون أكثر أملاً من أمسى ..

يا سيدتى .. أنا لا أريد سلطاناً يعطينى قدراً فليس هناك قدر أكبر من الشعر .. ولا أريد سلطاناً يمنحنى مالاً لأن قناعتى تسبق حاجتى .. ولأن زهدى يسبق رغباتى ، وشعرى فوق كل هذه الأشياء ..

كل ما أريد من هذه الحياة أن أشعر أننى إنسان ..

قالت : وماذا تساوى الحرية بدون رغيف خبز .. الحرية أن نجد المدرسة والرغيف والسكن .

قلت : رغيف الخبز لا يغنى عن القصيدة .. والأرض لا تغنى

عن الحلم.. وحق التعليم قد يكون حقاً مزيفاً ومقبرة من مقابر الجهالة.. أما السكن فهذا حق من الحقوق الأولى التى وفرها الله لكل مخلوقاته، ولهذا فإن العصافير لا تعانى من أزمة السكن ، وحتى الوحوش فى الغابات ، والثعابين فى الصحارى لا تعانى من مشكلات السكن .. ولكن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى أقام المعتقلات والسجون بدلاً من المساكن الشعبية للفقراء والمحتاجين .. وشيد مصانع البارود والرصاص بدلاً من أن يقيم بيوتاً تلم أشلاء المشردين .

إن الطيور تسكن بدون خلوات ولا تعانى من قوانين الإيجارات والحراسات والسرقات والعمولات .. وما أسوأ الزمن الذى تجد فيه الحيوانات بيوتاً لا يجدها الإنسان .

قالت : ولكن بعض الشعراء مازالوا يمدحون ويحملون المباخر ..

قلت : دعى الخلق للخالق .. فسوف تظل الطبول فى كل زمان.. وسوف تبقى المباخر فى كل عصر . ولكننى لا أتصور أن ألقى بسنوات عمرى فى بلاط سلطان مهما كان كبيراً ، إننى أفضل أن أضيع عمرى فى شىء آخر أكثر فائدة ..

قالت : وما هو هذا الشىء .

قلت : سوف أذهب إلى روضة من رياض الأطفال الصغار لأعلمهم كيف يتكلمون فربما يخرج من بينهم فى يوم من الأيام صوت أعلى من صوتى ويقول للناس ما عجزت أنا .. أن أقوله ..

امرأة لا أنساها

قالت : لم تكتب عنى قصيدة واحدة .

قلت :ربما أكتب عنك حينما تصبحين ذكرى .

قالت : وهل قررت أن تتركنى .

قلت : لن أحاول ذلك .

قالت : قلوب الشعراء كما يقولون مثل المطاعم الشعبية ما أكثر القادمين إليها وما أكثر المسافرين منها ، كل قصيدة وراءها امرأة جديدة ، وكل امرأة جديدة وراءها حكاية .

قلت : هذا والله ظلم للشعر وللشعراء .

فليست كل قصيدة امرأة ، وقد يعيش الشاعر عمراً طويلاً مع امرأة ولا يكتب فيها بيتاً ، وقد يبقى فى خيال الشاعر طيف امرأة عرفها فى رحلة قطار سريعة وتركت خلفها تلالاً من الذكرى ، لقد كتب دانتى الكوميديا الإلهية بعد قصة حب لم تعش أكثر من أربعة أيام ، وكتب إبراهيم ناجى الأطلال فى امرأة رآها مرة واحدة وسافرت ولو بقيت ما كتب فيها بيتاً .

قالت : هل معنى هذا أن الحب ليس بالعمر .

قلت : كل الأشياء الجميلة ليست بعمرها ، فلحظات السعادة أقصر اللحظات عمراً ، والشهب تضىء ثم تسقط ، وأنا أومن أن هناك امرأة تترك ظلالها ولو رحلت ، وهناك امرأة لا يبقى شىء منها ولو بقيت .

قالت : وما الذى يبقى من المرأة عندك .

قلت : لا أنسى عقل امرأة احترمته وعرفت قدره .

ولا أنسى وجدان امرأة احتوانى فى لحظات عمر ثقيل ..

ولا أنسى امرأة شاركتنى حلماً ولو لم يتحقق .

ولا أنسى امرأة أعطتنى شيئاً ولم تكتبه فى أجندة الحسابات لتطالبنى به يوماً ..

إن المرأة كالرجل تماماً ... موقف .

قالت : وماذا تقصد بالمواقف .

قلت : لن تتساوى امرأة أسعدت إنساناً مع أخرى حولت حياته إلى مسلسلات من النكد والجحيم .

لن تتساوى امرأة لا تفارق الابتسامة وجهها وأخرى لم تضحك فى حياتها إلا مرة واحدة حينما وقع زوجها على وثيقة الزواج . لن تتساوى من تمنح الدفء والأمان . ومن تفجر براكين السخط والغضب .

كثيراً ما يحب الإنسان امرأة ويتمنى لو أسعدته . إن الرجل يموت فى سبيل امرأة أحبها .

قالت : ماذا تعنى بالموت .

قلت : الموت حباً .

قالت : تشبيه سخيف أن يجتمع الموت مع الحب .

قلت : لقد مات المجنون حباً .

قالت : كان مجنوناً .

قلت : كان أعقل العقلاء .

لقد اكتشف منذ البداية أن الحب هو القيمة الوحيدة التى تستحق أن يعيش الإنسان من أجلها .. إن الناس يتساوون فى المال والجاه والفقر والحاجة ، ولكن الشىء الذى يفرق بين إنسان وآخر هو أن يحمل قلباً نابضاً .

إنه يرى الحياة بألوانها ويضع الأشياء فى أماكنها ، ويحس أن الله تعالى أعطاه شيئاً فريداً دون كل الناس ، فليس فى الدنيا أجمل من قلب مازال للحب مكان فيه ، حينما ينسحب الحب من الأعماق تزداد غربة الإنسان وتتسع مساحات الصحراء فيه ، وتتراكم العناكب وتظهر أشباح الشر ، ويموت الضمير ، ويخمد الإحساس ، وتتساقط أشجار الرحمة.

إن الحب هو الشىء الوحيد الذى نرى فيه آدميتنا .

قالت : ولكن الناس الآن تحب كل يوم .. هل تسمى هذا حباً .

قلت : هذا نوع من أنواع الاحتيال والكذب على النفس .. أن يرى الإنسان نفسه كل يوم مع قصة حب جديدة ، ويحاول أن يوهم نفسه بذلك .

قالت : وأنت أمازلت تحبنى .

قلت : إن حبك قدرى .. وماذا نفعل مع أقدارنا .

الشّباب الحَائر

نحن فى حاجة إلى وقفة عاقلة مع شبابنا .. إننا كثيراً ما نظلمهم فى مواقفنا وأحكامنا ..

إننا نتهمهم بالتهور والاندفاع .. وليس هناك شباب بلا تهور .. لأن الشباب هو سن الاندفاع .

إن الشباب هو الفترة التى تتمثل فيها خصوبة الإنسان بأكمل جوانبها .. ابتداء بالجسم .. وانتهاء بالوجدان .. فالشباب هو الحب الطائش .. والإحساس المتدفق .. والقلوب المتمردة .

ولكننا نريد أن يعيش الشباب كما نحب .. رغم أننا عشنا شبابنا كما أردنا ..

نريد أن نحرمهم من أشياء كثيرة لم نحرم أنفسنا منها حينما كنا فى أعمارهم .

إنهم يحلمون .. ونحن يوماً مثلهم حلمنا .. ولكننا لا نريد لشبابنا أن يحلم ..

● الشباب يتمنى لو تجاوز حدود عصرنا وزماننا .. ولكننا نريد من الشباب أن يظل واقفاً فى مكانه مثلنا .. ولو سبقنا الزمن وهربت منا الأيام .

● الشباب يريد حقه اليوم .. ونحن نقول له : إن حقك سيكون غداً .. وهذا الغد لا يجىء..

● الشباب يريد أن يبنى نفسه .. ونحن نقول له : إنك متسرع ومندفع ومجنون .. وعليك أن تعيش كل الخطوات التى عاشها من جاءوا قبلك ..

● الشباب يريد عالماً من الطهارة والتجرد والنقاء .. ونحن نريد له أن يعيش كما عشنا .. فى صناديق القمامة ..

● وبعد ذلك كله نلوم الشباب ونتهمهم بالضحالة والقصور والتطرف .

● تركنا الشباب زماناً طويلاً فريسة لمسلسلات التليفزيون الهابطة التى سطحت عقله .. وهبطت بوجدانه ..

● تركنا الشباب « لمافيا » الأغانى الهابطة والمذكرات السياسية التى أفسدت ضميره وشوهت عقله وتركته حائراً بين الكذب والضلال .. والبطولات المزيفة للأدعياء والأفاقين .

● تركناه حائراً أمام القدوة الغائبة وأمام نماذج إنسانية ضعيفة ..

● تركناه يترنح أمام نظام تعليمى متخلف .. ومناهج دراسية تشجع البلاهة ..

● تركناه يضيع أمام آباء لا وقت عندهم للأبناء .. وأمهات حائرات فى النوادى أو ضائعات أمام طوابير الجمعية ..

● تركناه وهاجرنا بحثاً عن المال فى بلاد الله .. وعندما رجعنا بالمال .. لم نجد الأبناء .

وسقط شبابنا فى الحيرة واليأس والمخدرات .. وانقسموا أمام الحياة ومطالبها ..

فمنهم القادر الذى جلس فى النادى يشم الهيروين ..

ومنهم المسكين الذى لا يجد بيتاً ولا حلماً فهرب من ضيق الدنيا بحثاً عن ثواب الآخرة ..

وكان مصيرهما واحداً .. من سعى إلى الله .. ومن ركبه الشيطان ..

وبعد ذلك كله نلوم الشباب ..

إن الأرض الفاسدة لن تعطى أبداً ثماراً جيدة . والزمن الردىء لن يعطى أبداً إنساناً متوازناً متكاملاً فى كل شىء .

فنحن الذين غرسنا البذور قبل أن نتخلص من ملوحة الأرض وأمراضها ..

ونحن الذين صنعنا الزمان الذى لا يمكن أن ينجب إنساناً متوازناً . وبعد هذا كله جلسنا ننعى حظ أبنائنا ونقول إنها مشكلة الأجيال الجديدة . ولكن لم نسأل أنفسنا بصدق على من تقع المسئولية..

حينما نناقش قضايا الإدمان يجب أن نناقش قضية الأسرة ، هذا الصرح العظيم الذى تساقط أمامنا مع إغراءات المال وتكاليف الحياة.. والأب الغائب . والأم المهاجرة ، والأبناء الضائعين..

حينما نناقش قضايا التطرف لابد أن نناقش قضايا الحلم الخاسر.. والقدوة الغائبة وغربة الإنسان فى وطنه .

حينما نناقش قضايا التخلف العقلى والفكرى لابد أن نناقش قضية التعليم والثقافة والإعلام وكيف تركت آثارها على عقول شبابنا..

حينما نناقش قضية السلبية واللامبالاه والانتماء الغائب لابد أن نناقش قضية الحقوق والواجبات .. وحق الوطن وحقوق المواطن .

بعد هذا كله يمكن أن نسأل أنفسنا بأمانة .. ضياع الشباب مسئولية من .. ؟.

عصــــر الـرجَال

قالت : الزمان القادم سيكون زمان المرأة ..

إن أوائل الشهادات الجامعية .. والمدارس من الطالبات ، ومعنى هذا أن المرأة قد بدأت رحلة التفوق على الرجل . وسوف يأتى يوم تقود فيه حواء سفينة الحياة .

كم سأكون سعيدة حينما أرى هذا اليوم . إن المرأة أحق بأن تحكم.. وتسود وتتحمل المسئولية .

يكفى الرجل آلاف السنين التى حكم فيها العالم ، وتحكم فيه وارتكب كل الخطايا من حروب ودمار ودجل سياسى .

إن عصر الرجل فى طريقه إلى الزوال .. وأهلاً بعصر حواء .

قلت : ومن قال أن المرأة لا تقود سفينة الحياة .. إنها تحكم من وراء ستار .. وتقود العالم من بيتها .. ولا توجد قضية كبرى إلا وكانت وراءها .. إنها تحكم العالم من خلال الرجل .. إنها تستهلك نصف

اقتصاد العالم على وجهها .. ولو أفلست كل مصانع الدنيا فلن تفلس مصانع أدوات التجميل والملابس .. إن نصف عمر الرجل يضيع على المرأة ، والنصف الثانى يضيع بسببها .

قالت : ولكن تخيل الحياة وحواء تحكمها .. ستكون أكثر رشاقة وأناقة وجمالاً .. إن الرجل أفسد تاريخ الإنسانية .. يكفيه بند واحد وخطيئة واحدة اسمها الحروب .

قلت : ولكن كليوباترا حاربت وتآمرت.. وتاتشر أعلنت الحرب على الأرجنتين ، وأنديرا غاندى حاربت باكستان .. فالمرأة مارست الحكم مثل الرجل تماماً .. وكانت أشد قسوة .. كما أنها تشارك الآن فى كل شىء .. فهناك الوزيرات والسفيرات .

قالت : أنا لا أريد الاستثناء .. أريد القاعدة .. أن نغير تركيبة الحياة.. نعفى الرجل من مسئولياته .. ونضع المرأة فى الصدارة.

قلت : أنا واثق أن كثيراً من الرجال سوف يوافقون على هذا الرأى أمام ارتفاع مسئوليات الحياة والأسعار ..

كثير من الرجال سيوافقون على القيام بمسئوليات البيت والأسرة والأبناء بدلاً من طوابير الجمعية وانتظار العلاوة ورؤساء العمل التافهين والرجل المناسب فى المكان غير المناسب . لو أجرينا استفتاء هذه الأيام، فسوف يوافق الملايين من الرجال على البقاء فى البيت .. ولكننى أعتقد أن المرأة أول من يرفض ذلك .

قالت : لا يعنينى الرافضون .. ولكن تخيل الحياة وحواء تحكمها .. ستكون أكثر اتزاناً .. وأقل عدوانية .

قلت : ولكنْ حواء فى أحيان كثيرة تفوق الرجل فى عدوانيتها . إذا كرهت مثلاً ، فهى أكثر ضراوة .

قالت : ولكنها أكثر رحمة .

قلت : ليس فى كل الحالات ..

قالت : هى أرقى سلوكاً .. وأرفع أخلاقاً ..

قلت : ليس فى كل الحالات .

قالت : هى أكثر عطاء ..

قلت : ليس فى كل الحالات ..

قالت : المرأة تستخدم قلبها .. والقلب موطن السلوك الإنسانى الرفيع.

قلت : ليس فى كل الحالات .. فالقلب يحمل كل مشاعر الدنيا بتناقضاتها .. فالقلب كما يحب .. يكره .. وكما يشعر بالخير .. يتآمر بالشر .. وبه الضوء والظلام والعدل والظلم .

والرجل مثل المرأة تماماً .. كلاهما يحمل كل نقائض الإنسان .

فهى الأم الحنون .. والزوجة القاتلة ..

وهو الأب الكبير .. والإنسان المتوحش .

وهى قطعة من الضوء .. أو قطعة من العذاب .

وهو النهر المتدفق بالعطاء .. والبحر الثائر المدمر .

ولا شىء يبقى على حال .

قالت : المرأة بطبيعتها أكثر عدلاً ..

قلت : العدل زائر غريب فى هذا العالم .. إن مواسمه قصيرة .. وأيام عمره قليلة .. والأوقات التى ظهر فيها العدل ساعات قليلة فى عمر الإنسان .. فالعدل ضيف غريب سواء حكمت المرأة أم ساد الرجل.

قالت : هى تعرف الحب أكثر ..

قلت : إنها أساس الحب .. ولا حب بغيرها ..

وأنا أحب المرأة وأراها تقف وراء هذا الكون بكل جوانب القبح فيه والجمال .. إنها أحياناً تمثل الخير والجمال إلى أبعد الحدود ، وفى أحيان أخرى هى غير ذلك ..

ولقد أحببت المرأة دائماً ..

فهى الأم التى أعطت .. والزوجة التى حفظت .. والابنة بكل باقات الأمل فيها ..

قالت : ولماذا ترفض أن تحكم المرأة هذا العالم ؟ !

قلت : لأننى أخاف عليها .. إن مشاكل إنسان هذا العصر تحتاج إلى معجزات كثيرة .. فلا حواء لديها الحل .. ولا آدم قادر على أن يجىء بالمعجزات .. إن مشاكل الإنسان صارت بلا حل ..

حـــوار مع زوج .. لم يقتل بعـــد .. (١)

قال لى صديقى : أصبحت أخاف من زوجتى .

كلما لمعت عيناها .. أو امتدت يداها .. أو رأيت سكيناً معها.. اقشعر بدنى .. وأسرعت نبضاتى .. وارتفعت حرارتى .. وأصابنى ما يشبه الدوار .

كيف بالله تمسك حواء الرقيقة « بساطور » وتقطع عنق رفيق عمرها .. وصديق أيامها .. ومؤنس وحدتها ، وأب أولادها ؟ ما الذى حدث فى الدنيا ؟ إن هذا من علامات الساعة .

قلت لصديقى المذعور : من حقك يا صديقى أن تحترس من زوجتك ، فيجب أن تطمئن إلى أنها نامت قبل أن تنام أنت .. ولا داعى أبداً لاستخدام السكاكين فى منزلكم العامر حتى ولو صمت الدهر كله.. ولا داعى أيضاً لأن تصلى أمامها .. أغلق أبواب حجرتك قبل أن تنوى الصلاة .. ولا تجلس يا صديقى مع زوجتك على انفراد .. فما اجتمع زوج مع زوجته إلا وكان الساطور ثالثهما .. وحاول أن تأخذ مكانك

بعيداً عنها حتى يمكن لقواتك أن تتصدى لها إذا حاولت الهجوم.. واستعذ بالله واستغفره عن خطاياك كلما أغمضت عينيك فقد تلقى الله على يدها وأنت فى نوم عميق .. فمن لم يمت بالسيف مات بساطور زوجته .

قال صديقى : حواء يا سيدى تغير حالها .. لم تعد حواء القديمة.

قلت : الناس جميعاً تغيروا .. الأبناء .. والآباء .. والأمهات.. كل الأشياء تغيرت فى عالم اليوم .

فالزوج هبط من مقعده التاريخى العظيم حيث كان الاحترام والتقدير والمهابة .

وبعد أن كانت الزوجة ترفع له أعلام الطاعة .. ارتفعت على رأسه السواطير .. وكان من الممكن أن يهبط الزوج درجة أو درجتين مع تغير أحوال الزمن .. ولكنه للأسف الشديد هبط إلى أسفل سافلين.. ليت حواء ما أغرته .. ثم قطعت رأسه بالسكين .

إن الرجل حائر فى هذا الزمن .

إنه حائر فى فقره .. وأكثر حيرة فى غناه .

حائر أمام متطلبات الحياة وما تفرضه من التزامات .

فى عمله إذا نجح دفع الثمن .. وإذا فشل أصبح محلاً للإشفاق. وهو لابد أن ينافق ، وأن يتنازل ويخلع تاج كرامته ويحنى رأسه لكى

تفتح له الأبواب .. وإذا كان مناسباً فالعمل غير مناسب .. وإذا كان شريفاً فكل من حوله لصوص .. وإذا كان داعياً للفضيلة فالويل له من سماسرة الرذيلة وما أكثرهم .

وفوق هذا فإن زوجته تطالبه بما ليس فى مقدوره .. وسقطت هيبته تحت ذل الحاجة .

وهو فى الشارع يقف ساعتين فى طابور الجمعية .. وساعتين فى انتظار الأوتوبيس .. وساعتين فى توصيل الأولاد للمدرسة .. وساعتين فى رجوعهم .. ويقرأ الصحف فيصيبه الاكتئاب .. ويسمع تصريحات المسئولين فيصاب بمغص كلوى .. ويقبض المرتب فتصيبه حساسية جلدية.. ويلتقى بالدائنين فتصيبه نوبات بكاء لا تفارقه .. وبعد هذا كله يذهب إلى بيته .

يجلس وحيداً يحدق فى عيون زوجته وقد أصابها النعاس .. وهذا الابن ينتظر مجزرة الثانوية العامة .. أما الابن الأكبر فقد تخرج فى عام ١٩٨٣ أى منذ سنوات ولا يعمل .. والابنة تركها خطيبها لعدم وجود شقة .. وأخته الكبرى « العانس » التى تعيش معه ، تساقطت أسنانها من مرض السكر ، وضعف نظرها .. ولا تتحمل أحداً.. أما زوجته المسكينة فقد أصابتها كل أمراض البلاهة والتخلف لأنها تتابع بانتظام مسلسلات التليفزيون . هذا هو حال الزوج إذا كان فقيراً معدماً

أما إذا كان غنياً قادراً فالأولاد فى النادى شمامون .. والزوجة مشغولة فى السهرات .. والرجل حائر وراء سهراته وصفقاته وأمواله المشبوهة .

وسقطت الأسرة أمام الاحتياج الشديد .. أو أمام السفه الشديد.. تقطعت أوصال العلاقات الإنسانية أمام أشباح الفقر .. وأوكار الغنى ، وكلاهما وصل بالإنسان إلى نتيجة واحدة .. فالفقراء لا يجدون ما يكفيهم .. والأغنياء لا يجدون ما يرضيهم .. والجميع لايجد السعادة

قال صديقى : وما علاقة هذا كله بالقتل ؟

قلت : غابت المشاعر من حياة الناس .. فالأب لم يعد أباً بكل مقاييس الأبوة .. إنه مشغول بنفسه .. إذا كان فقيراً فهو مشغول كل الوقت ليوفر بعض احتياجاته .. وإذا كان غنياً فهو مشغول كل الوقت ليرضى طموحاته .. وتكسرت كل جسور التواصل فغابت الحوارات .. واختفت القدوة .. وتراجعت مشاعر الرحمة بين آباء هاربين وأبناء ساخطين متنكرين لكل شيء.

يريدون من الحياة كل شيء .. ولم يقدموا لها أى شيء .. ومع الأبناء والآباء وقفت حواء الزوجة حائرة .. ضاقت بها كل السبل أمام طوابير الجمعيات .. ومواعيد الامتحانات وهموم الأبناء .. ونعيق المسلسلات .. واحتارت بين زوج لا تراه .. وأبناء حاقدين أو ساخطين أو شمامين .. ثم فوق هذا كله مجتمع يستبيح آدمية الناس ولا يعرف شيئاً اسمه الرحمة .

ولم تجد حواء أمامها غير الساطور .. وكانت أقرب الرقاب لها رقبة زوجها .. فحاولت أن تنتقم من هذا العالم كله فى شخص رجلها المسكين الذى كان يطلق عليه يوماً اسم .. زوج ..

حـــوار مع زوج .. لم يقتل بعـــد .. « ٢ »

قال صديقي : لماذ تغيرت حواء .. وهي أساس التوازن في هذه الحياة ؟.

قلت : المال أفسدها .. إما احتياجاً .. أو طمعاً .

إذا كانت فقيرة فالمال أكبر أحلامها .. والمال حلم غادر .

وإذا كانت غنية فإن ما عندها لا يكفيها .. وتريد المزيد .

حواء في زمن مضى كانت رسول محبة .. وبيت أمن .. وعنوان اكتفاء .. وأصبحت الآن سمسار عقارات .. وامرأة فولاذية .. تمارس أعمال النصب والاحتيال .. ثم صارت قاتلة . لقد أفسد المال حياة الناس .. أزواجاً وزوجات وأبناء .. والناس معذورون .. فلا ثمن لمن لا يملك الثمن .. ولا كرامة لمن لا يملك رصيداً .. ولا قيمة لمن أحوجه الزمن لأيدي الآخرين .

كانت العلاقات الإنسانية تحكمها أشياء كثيرة فيما مضى..

كنا نقول إن عائلة فلان عائلة أصيلة .. وإنه ابن ناس .. وصاحب أصل .. وإن فلانة ابنة حلال ومن بيت طيب .. وكنا نعمل بقول رسول الله ﷺ « تخيروا نطفكم فإن العرق دساس » « وإياكم وخضراء الدمن، قيل : وما خضراء الدمن يا رسول الله .. ؟ قال المرأة الجميلة من منبت السوء »...

وكانت ثقافة الإنسان تمنحه قدراً وبريقاً أمام الناس ، إذا تحدث سمعوا .. وإذا تحاور شاركوا .. وإذا قال شيئاً فتحوا له أبواب قلوبهم. كان الجانب الأدبى يحتل مكانة فى سلوكياتنا .. وكنا نفرق بين الناس بأخلاقهم .. وأصولهم .. وثقافتهم .. فكان الفقير غنياً بعلمه .. والبسيط كريماً بأصله .. وبعد هذا كله يجىء المال .. يرجح هذا أو ذاك .. وكثيراً ما كانت الثقافة والفكر والأصالة تأخذ مكاناً أرفع من أصحاب الأرصدة .

ولكن الزمان تغير .

فهذا رجل يتزوج عجوزاً شمطاء فى عمر جدته طمعاً فى مالها.. ولأنه سوف يرث شقتها ويتزوج فيها بعد رحيل صاحبة الأرصدة.. ويجلس المسكين ينتظر رحيل الشمطاء ولا ترحل . ويتساقط عمره معها عاماً بعد عام .. فلا هى ماتت .. ولا الأرصدة دخلت حسابه .. ويكتشف فى النهاية أنه كان يجرى وراء سراب خادع .. وأنه دخل صفقة خاسرة .. فلم يكن أكثر ذكاء من الزمن الذى خدعه وأخذ منه أجمل سنوات عمره ..

وهذه فتاة جميلة تترك رفيق أحلامها .. وحبيب قلبها لتتزوج عجوزاً بينه وبين القبر شبر واحد ، ولكنه يملك البيت والمال والسيارة ، وتضحى بمن أحبت .. وتتساقط منها أشعة العمر الذهبية ، وتكتشف بعد سنوات حجم خسارتها .. يوم أغلقت باب قلبها وفتحت أبواب حقائبها .

وانتشرت هذه النماذج الإنسانية المشوهة التى فقدت كل مقومات الحب والتآلف .. والرحمة .

وكان من نتيجة هذا كله أن أصبحت البيوت من الزجاج .. عارية تماماً فى كل شىء .. بدلا من أن تسكنها العصافير سكنتها الفئران ، وبدلاً من أن يغطيها الحب .. ساد الجشع والاستغلال .. وبعد أن كانت المشاعر أجمل وأغلى ما يملك الإنسان ، أصبحت هناك بورصة واسعة للعلاقات الإنسانية ، والكل فيها يبيع : هذا يبيع قلبه ، وهذه تبيع عمرها . ودخل تجار الخردة والمقامرون واللصوص وتجار الأسلحة والعمولات والمخدرات سوق النساء : يشترون ، ويبيعون ، ويقطعون كل جسور الوئام والرحمة .. فدسوا سمومهم ، ومارسوا ألاعيبهم ، وشوهوا كل شىء فى حياة الناس . واختفت العصافير من البيوت .. وانطلقت الغربان تعلن سقوط مملكة الحب .. أمام قرصنة المال .

وفقدت الحياة أمام بريق المال كل مقوماتها الرفيعة .. وبعد أن كانت الأسرة بيتاً من بيوت الرحمة ، أصبحت وكراً للصفقات المشبوهة . والكل يبيع .

ووقف المال سلطاناً أمام الجميع .. وانحنى أمام جبروته

الكثيرون.. يسبحون بحمده ويرجون طاعته .. وسقطت الكرامة تحت إغراءاته .. وماتت المشاعر تحت أقدامه .. فهو يأمر وينهى .. ويحسم كل الأشياء . ومن أجل المال استبيحت الأعمار والأحلام والقيم .. فكان الزواج الباطل .. والحب الباطل .. والزمان الباطل .. وكل ما قام على باطل .. فهو باطل .

وفى الخفاء وقف أنصار الفضيلة والباحثون عن الحلم الشريف يراقبون سقوط مملكة الحب وتراجع فرسانها .. وتهدم حصونها .. وكيف اندفعت جحافل تجار المال تحاول أن تحطم كل شيء .. وتفسد على الناس قناعتهم .. وراحة بالهم ..

ومازال الصراع قائماً .. بين من يرون العمر صفقة .. ومن يرون العمر رسالة ..

حـــوار مع زوج .. لم يقتل بعـــد .. « ٣ »
حَل .. لكـــل النـــاس

قـال صديقى : قلت لى كـثيـراً عن أسبـاب قـتل الأزواج .. ولم ترشدنى إلى الحل ، لم أعـد أنام .. شبح زوجـتى فى الليل يطاردنى ، بالأمس كنت أصلى الفجر .. وسمعت حولى حركة غريبـة .. وتخيلت رقبتى وهى تتدلى أمامى ، ووجهى للقبلة .. وبعد أن أنهيت الصلاة نظرت حولى .. وكانت زوجتى نائمة .. واستغفرت الله .. ولم أستطع أن أنام .

قلت : وهل فـعلت فى زوجـتك شـيـئـاً كى تخاف منهـا بهـذه الصورة؟

قال : يا سيدى كل ابن آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون .. ولكن لا توجد فى الدنيا خطيئة تستحق أن يُقتل الإنسان بسببها إلا إذا قَتَل فيكون القصاص .. وأنا لم أقتل أحداً .. ثم إننى أخاف كثيراً من تقطيع جسمى وتوزيعه فى بلاد الله .. أريد أن يكون لى قبر ، كما أننى لا أحب أن أدخل التاريخ من هذا الباب السيئ .

قلت ضاحكاً : ماذا تقول لزوجتك لو وجدتها تمسك سكيناً وتتجه إلى رقبتك ؟

قال : سوف أستغفر الله أولاً .. وأطلب رحمته وغفرانه .. ثم أتجه إليها فى مشهد درامى مؤثر جداً وأقول لها :

يا زوجتى العزيزة .

بحق الأيام الجميلة التى عشناها معاً ..

والأيام الصعبة التى قاسيناها معاً .

وبحق ما أعطيت لك من عمرى .. وهو كثير ..

ومن شبابى .. وهو أكثر .

وبحق الأبناء الذين غرسناهم فى صحراء أيامنا .. وأورقوا بيننا ظلالاً وثماراً وأملاً ..

بحق هذا كله .. لا تنسى أننى أب لأبنائك .. ورفيق لرحلتك .. وقد أكون أخطأت فى حقك .. أو قصرت فى طلبك .. ولكننى كنت أميناً على العشرة .. وأعطيت ولم أبخل حتى وإن كان الزمن ضنيناً ..

سأقول لها : بحق هذا كله دعى السكين بعيداً لكى أعيش للأولاد ..

قلت لصديقى : إن كلماتك هذه ستصبح أنشودة لكل الأزواج ، سوف يكتبها كل زوج فى ورقة صغيرة .. وربما يحفظها مثل الأناشيد الوطنية لكى يغنيها فى « عيد قتل الأزواج »..

قال : أنت تسخر منى .. خبرنى ما هو الحل ؟ وماذا أفعل ؟.

قلت : هل تبحث عن حل لك .. أم حل لكل الناس ؟.

قال : أبحث عن حل لنا جميعاً معشر الأزواج ، حتى لا تطير رقابنا أمام سواطير الزوجات .

قلت : الحل يا سيدى أن تعود للأشياء قدسيتها ..

أن تعود الرحمة ؛ لأن الله تعالى يقول فى كتابه الحكيم « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ».

اختار الله سبحانه وتعالى المودة والرحمة .. واختار الناس الأرصدة مكان الرحمة .. والعقارات مكان المودة .

إن الرحمة تمنحنا الألفة .. والألفة تمنحنا الحب .. والحب يمنحنا الأمن .. والأمن يمنحنا الغنى .. والغنى يمنحنا القناعة .. والقناعة تمنحنا الاكتفاء .. والاكتفاء يمنحنا الرضى ، ولا يمكن أن يدخل الساطور بيتاً يسكنه الرضى .

إننى أتمنى أن تعود حواء كما كانت يوماً .. تدافع عن حبها وقلبها أكثر من دفاعها عن أرصدتها .. أن تعطى قلبها لمن تحب ولو لم يملك شيئاً .. وأن تعيش أحلامها مع رفيق عمر ، وليس مع شريك صفقة..

أن تختار العقل والوجدان والأصالة..قبل أن تختار المال والشقة،

أن تؤمن أن أموال الدنيا لا تساوى لحظة حب صادقة..وأن الكراهية أقرب الطرق للجريمة..وأن حواء لم تخلق أبداً لتمسك السكاكين وتسفك الدماء .. بل إنها خلقت لتعلمنا نحن معشر الرجال كيف يكون الحب فى هذه الحياة.

إننى أحزن كلما سقط أمامى رجل .. ولكننى أحزن أكثر كلما سقطت أمامى امرأة .. وسقوط المرأة عندى أن تخون قلبها ..

إننى أحب أن أرى حواء دائماً فى السماء .. لأنها عندى الأم التى أنجبت .. والزوجة التى أخلصت .. والابنة التى أعطت .. والله خلق الدنيا على الحب .. ولن يكون المال سلطاناً على الكون ، وسوف تظل للأشياء حرمتها مهما أفسد المفسدون .

قال صديقى بحزن : مازلت خائفاً ولم تنصحنى .

قلت : هذه النماذج المشوهة فى حياتنا ليست مقياساً ..

فإذا كانت هناك زوجة قطعت جسد زوجها وألقت به فى الطرقات أمام أبنائها ، فهناك ملايين الزوجات المكافحات فى الحقول والمصانع والمزارع والمدارس والجامعات ، يدفعن العمر والشباب من أجل إسعاد أبنائهن وأزواجهن .

يا صديقى لا تحزن : إن حفنة من التراب لن تغطى أبداً وجه الشمس .

الكلمة .. كيف تباع ؟

قــالت : لـم يعــد للكلمــة مكان فى زمــاننا .. لقـد تراجــعت سطوتهـا .. وانطفأ بريقها .. كل شىء فى الحياة الآن ، تحسمـه القوة .. ويسـقط أمـام جبروت العلم .. فـالناس يخشون القـوة .. ويستكينون أمام إغراءات العلم .

الإنســان يخـاف من القنبلة .. ويتــوه أمـام سـحـر الفـيـديو والكمبيـوتر. إنه يشعـر بضآلته أمـام جندى يحـمل مـسدساً ، ويقف مذهولاً فاقد الوعى أمام سفينة الفضاء ، التى تخترق السماء فى رحلة للقمر .

أما الكلمات فلم تعد تغرى أحداً .. قد نرددها كثيراً فى أشعارنا وأغانينا .. ولكنها لا تحسم شيئاً .

قلت : حينما تختل الأشياء ، فليس معنى ذلك غياب الحقيقة .

فـإذا حملنا شخصـاً ، وألقـينا به فى غـرفـة مظلمـة ، وقـلنا له إن الشمس غابت ولن تعود ، فليس معنى هذا أن النـاس ، خارج غـرفتـه ، لا يرون الشمس ، ولا يستمتعون بالنهار .

وفى دول العالم النائم - أقصد العالم الثالث - نسى الناس أن هناك شيئاً اسمه الحرية .. وليس معنى هذا أن الحرية غابت عن الدنيا كلها ، فمازالت فى العالم أصوات ترفض ، وشعوب تثور ، وحكومات تحترم إرادة الإنسان .

فإذا كان من صفات الجلاد أن يسجن أو يقتل ، فمن حق الإنسان أن يحلم وأن يحاول وأن يرفع صوته .. فقد يكون هذا الصوت أقوى من كل أسلحة الجلاد .. والصوت هو الكلمة .. والكلمة هى الإنسان .

إن العلم يسحرنا .. والقوة تقهرنا .. ولكن الكلمة الشريفة تحررنا .. وسوف تبقى ، دائماً ، أوسع الطرق إلى الخلاص .

قالت : ولكن ماذا تفعل الكلمة أمام طاغوت القوة ؟

قلت : الكلمة حركة بطيئة .. ولكنها مضمونة .. فقد تأخذ منا عمراً طويلاً ، ولكننا سوف نصل على أجنحتها يوماً .. ولو تأخر هذا اليوم .

وإذا لم نصل نحن ، فسوف تصل أجيال أخرى ستجىء بعدنا .

إن الكلمة تذكرنى بخيوط الحرير ، التى ننسجها فى سنوات طويلة من العمر .. وبقدر العمر الذى تأخذه .. بقدر ما يكون لها من قيمة .

إن القوة تغير الأشياء فى لحظة .. ولكنها تبقى بعض الوقت ولا تبقى كل الوقت .

والكلمة باقية .. والقوة إلى زوال .

إن عضلات الإنسان أسرع الأشياء رحيلاً .. ولكن عقله أطول الأشياء عمراً .. وحينما يتوقف العقل .. يموت الإنسان .

والإنسان يخشى القوة .. ولكنه يحترم الكلمة .. وما أبعد المسافة بين الخوف والاحترام .

والإنسان يكره الجبروت .. ويحب الإرادة .

والكلمة تصنع الإرادة .. ولكن القوة لا تصنع الإرادة فى كل الأحيان ، وخاصة إذا كانت قوة غاشمة وغبية .

والإرادة أقوى من القوة لأنها تسبقها .. ولأنها أطول عمراً والسجان يملك أن يقطع رأسى . ولكنه لا يستطيع أن يغتال كلماتى فى أعماق الناس .

قالت : ولكنى أقرأ الآن كلمات أشعر معها بالغثيان .. فهى لاتضيف شيئاً .. بل إنها تمتهن عقل الإنسان .

قلت : الحياة سوق للبيع والشراء .

يوجد فيها التاجر الشريف الذى يخشى الله .. والتاجر اللص الذى يستبيح أموال الناس .

وتوجد فيها السلعة الجيدة .. والسلعة الرديئة .

ويوجد فيها الصادق والمزيف .. والنظيف والردىء .

ولن تتساوى الأشياء فى قيمتها .. وإن اختلت كل الموازين ..

لن تتساوى كلمات يضعها الإنسان وساماً على صدره ، مع كلمات يضعها الإنسان تحت حذائه .

لن تتساوى كلمات تسكن القلوب .. وأخرى تسكن سلة المهملات.

لن تتساوى كلمات تضيء كالنهار .. مع كلمات تطفئ كل الأنوار .

لن تتساوى كلمات تعلم الناس الفضيلة .. وأخرى تفتح أمامهم كل أبواب الرذيلة .

لن تتساوى أبداً ، يا سيدتى ، كلمات تقال على المنابر وأخرى مكانها الأوكار والحانات .

قالت : مازلت تؤمن بالكلمة ؟.

قلت : إنها عمرى ولن أعيش بعدها يوماً .

الكارهـــون .. بالـوراثة

قال لى صديقى : إن فلاناً يكرهنى بلاسبب .. فليست بيننا قضايا فى المحاكم ..ولا نحترف عملاً واحداً حتى يغار منى ، ولم آخذ منه شيئاً .. ورغم هذا فهو يطاردنى دائماً بكراهيته ، إننى أكاد أرى الحقد يطل من عينيه .

قلت لصديقى : الأشجار الكبيرة تعانى من تلك الحشائش الصغيرة التى تتسلق على أغصانها .. وتحاول أن تعبث تحت أقدامها .. وهى أحياناً تخفى بعض الحشرات والديدان ، التى تحاول أن تأكل جذور الشجرة ..

وكما أن هناك حشائش فى عالم الأشجار ، فهناك أيضاً حشائش فى دنيا البشر .

وهذه الأنواع الرديئة من الناس لا تعرف للحب طريقاً : فهى تمارس هوايتها فى الحقد والكراهية ، فلا تحزن لأن فلاناً هذا يكرهك ..

إنه لا يستحق منك لحظة حزن واحدة .. لأن الحجارة لن تسد مجرى النهر ، ولن تغير طريقه .

قال : ولكننى لا أجد هذا الكم من الكراهية إلا فى بلادنا ، لقد اتسعت مساحتها ، وتسربت إلى كل البيوت .. وأخذت مواقعها فى الشوارع والمكاتب والحقول .. العالم كله يكرم الناجحين فيه ، والشعوب ترفع على رءوسها أبناءها النابهين .. ولكننا ندفع فى أوطاننا ضريبة النجاح ، وكأنه خطيئة كبرى .. إنك تدفع ثمن نجاحك أكثر من مرة .. حينما تعانى مشقة الطريق ، وتدفع أعصابك وشبابك وعمرك .. حينما تقف لترد جيوش الحقد والغيرة والكراهية .

والأغرب من هذا ، أن فى بلادنا قوماً تخصصوا فى محاربة النجاح .. وهذا طابور طويل من الفاشلين جلسوا على رصيف كل صاحب موهبة .. ويكرهون كل شىء حتى أنفسهم .. والكارثة أن هؤلاء يزداد عددهم يوماً بعد يوم .

ولكن للكراهية أسبابها .. هل يمكن أن يكره الإنسان بلا سبب؟!.

قلت : بعض الناس يعانون من مركبات نقص تجعلهم يكرهون كل شىء .. حتى أنفسهم .. إن نقطة البداية فى الكراهية أن الإنسان عجز أن يحب نفسه .. وقد يبدو حب الذات ، فى أحيان كثيرة ، نوعاً من الأنانية .. ولكننى لا أتصور إنساناً يكره نفسه ، وتكون لديه القدرة على أن يحب الآخرين .. إن الحب يبدأ داخلنا .. ثم يملأ جوانحنا.. ثم يشع حولنا .

وحينما تظلم أعماق الإنسان ، وتتحول إلى كهوف من الحقد والكراهية تختفى كل الأضواء .. وتغيب كل النجوم . فالقصور الجميلة تتساوى مع الكهوف الحقيرة ، فى ساعات الليل الموحشة المخيفة .. والحب هو الضوء الذى يعطى النفوس جمالها .

قال صديقى : ولكن الناس لم تكن فى يوم من الأيام بهذه القسوة.. كانوا أكثر حباً وترفعاً .. إن الكراهية إحساس بغيض ، يشعرنا بانحطاط آدمية الإنسان .

قلت : كما خلق الله الليل ، خلق النهار .

وكما حمل الإنسان الحب حمل فى أعماقه بذورا للكراهية ، وكل إنسان يختار حياته .

فالحشرات تحب الحياة فى الليل ، حيث تتنقل بين ظلماته ، وتتكاثر وتزداد فى سواد لياليه . ولكن العصافير تحب النهار ، وتزداد تحت أشعة الشمس ، وينطلق غناؤها كلما ارتفعت قامتها فى السماء .

إنك لا تجد فأرا فى حدائق النهار ؛ فالفئران تعشق الظلام .

وبين الناس تجد كل هذه الصور . منهم من ملأ قلبه بكراهية الحياة ، فعشق سواد ليلها ، وظلمات أيامها ، وهناك ، أيضاً ، من عشق ضوء الشمس فيها .

والكراهية هى الابن الشرعى للحقد ، والحقد هو الابن الشرعى للشعور بالنقص ، هذا الشبح الذى تتوارى خلفه كل النماذج البشرية الرديئة ، التى شوهت وجه الحياة .

قال صديقى : كيف أتعامل مع إنسان يكرهنى ؟

قلت : الأشـــجـــار فى الشـــوارع تلقى ظلالهـــا على المصلين والسارقين، وتأوى العصافير والغربان ، وتعطى ثمارها للأطفال والفئران .. والإنسان الكبير لا يضنيه أن تلقى عليه حشرة حجراً من هنا أو هناك . والنجاح فى أوطاننا له ضـريبة لابد أن يدفعها الإنسان . إنك لا تستطيع أن تنجح من غير اتهامات ، أو تتفوق من غير شائعات، ولا يمكن أن تصل إلى حلمك بدون خسائر . ثم ، أعطِ الضعف البشرى حقه: فالعصافير هى التى تشعرنا بحقارة الفئران . والناس معادن : الصفيح نصنع منه صناديق القمامة . والذهب نصنع منه الأوسمة التى تزين صدور النابهين من البشر .

فلا تحزن يا صديقى من صناديق القمامة.

الباحثون .. عن الحب

قالت : أتمنى أن أحب .. فماذا أفعل .

قابلت فى حياتى مئات البشر ولكننى لم أحب .. فمتى يزورنا الحب ؟ وهل للحب أوقات ومواسم ؟ أم أنه يجىء حينما لا ننتظره .. ويرفض أن يجىء حينما يزداد احتياجنا إليه ؟.

قلت : لا أستطيع أن أضع لك وصفة سحرية تتحرك بها مشاعرك، ويخفق بها قلبك .. ولو كنت أستطيع ذلك لطالبت بإنشاء مراكز لتعليم الحب ، حتى تختفى من عيوننا أشباح الكراهيه التى تهدد كل شىء حولنا .

للأسف الشديد يا سيدتى لا توجد قوة فى الأرض تستطيع أن تعلمنا الحب .. إنه يأتى حينما يريد .. ويرحل أيضاً حينما يشاء .

من السهل جداً أن يتعلم الإنسان الحقد والكراهية .. ولكن من الصعب أن نجعل منه إنساناً محباً .. ما أكثر الحاقدين والكارهين

والساخطين .. وما أقل العشاق .. إنهم كالنجوم الصغيرة التى يتراقص ضوءها فى السماء .

الطفل فى الشارع يقطع رقاب الأزهار .. ويحطم أسوار الحديقة.. ويلقى الحجارة على الناس ؛ لأنه لم يتعلم كيف يحب .. إنها مسئولية صعبة أن نعلم أبناءنا كيف يحبون الأشياء .. لأن ذلك هو البداية لحب الحياة .

قالت : ولكننى أشعر بفراغ شديد .. الحياة حولى فقدت بريقها.. أشعر ببرودة الأيام وصقيع الوحدة .

قلت : سوف يجىء لك الحب حينما يريد . فى أحيان كثيرة ننتظر الأشياء بشوق غريب ولا تأتى .. وقد تمضى سنوات ونحن ننتظر.. وفجأة يدق الحب أبوابنا .

يبدو فى الأفق ضوء غريب .. يقترب منا .. يعانقنا .. تتسع دائرة الضوء حولنا .. تتسلل أشعة الشمس إلى داخلنا .. وتتحرك الأيدى .. وتتفتح العيون .. وتصغى الآذان لأصوات العصافير .. ويتسرب الهواء النقى إلى أنفسنا .. وتتسع دائرة الضوء أكثر .. تحتوينا .. ثم تحتوى كل الأشياء حولنا .. ثم نرى الكون كتلة ضوء .. نتوحد مع من نحب .. فنملك العالم كله .

إن أجمل ما فى الحب أنه يمنحنا الأحلام .. والأحلام هى أكبر بنوك الإرادة .. والإرادة تمنحنا القوة .

والحب أكبر أسباب التوازن .. والتوازن يمنحنا الاكتفاء .. والاكتفاء يمنحنا الاستغناء .. والاستغناء يمنحنا الرضى والرضى أكبر مصادر السعادة فى حياة الناس .

قالت : ولكن ما علاقة الحب بالقوة والإرادة والاستغناء ..

قلت : حينما أحب أشعر باستغنائى لأننى اكتفيت .. والاستغناء يشعل إرادتى الحرة .. والإرادة أكبر مصادر القوة .

والإنسان الذى انهارت الأشياء فى داخله لا يستطيع أبداً أن يجسدها فى سلوكه أمام الناس .. كيف أتحدث عن قيمة من القيم وأنا فى أعماقى لا أومن بها ؟ كيف أقنع نفسى بالنهار.. وأنا عاشق لخفافيش الظلام ؟ وكيف أرى العدل والخير والجمال فى عيون الآخرين وأنا أجسد فى أعماقى كل ألوان الظلم والبطش والكراهية ؟ لا تنتظرى الخير يا سيدتى من كهوف الكراهية . فلن ينبت الجمال أبداً فى أوكار القبح .. الجمال يبدأ فينا وينعكس على الأشياء حولنا .. إنه جزء منا وإن شاهدناه فى الآخرين .

قالت : ولكن الحب مسئولية .. إنه تعب .. وأشواق .. وأيام طويلة ..

قلت : أسهل الأشياء أن نبدأ قصة حب .. وأصعب الأشياء أن نضمن لها الاستقرار .. فالحب مثل الأشياء العظيمة .. كالنجاح .. أصعب ما فيه أن نحافظ عليه .

إننا بقدر ما نحافظ على الحب بقدر ما يبقى .. إنه يذكرنى

بالأشجار كلما تعبنا فى رعايتها ازدادت ثمارها .. وإذا أهملناها تساقطت أوراقها وذبلت أغصانها واحتواها التراب .

قالت : ألا ترى أننا نتحدث كثيراً عن الحب .. ولا نعيشه .. أكثر أغانينا عن الحب .. ولكن سلوكياتنا أبعد الأشياء عنه .. متى يستطيع الإنسان أن يجعل الحلم حقيقة ؟.

قلت : لو صارت كل الأحلام حقائق .. لانتهى زمن الشعراء .. وما عاد أمام الفن طريق غير أن يأخذ بقاياه ويرحل .

والحب سوف يبقى فى داخلنا دائماً ذلك الحلم الجميل الذى تحملنا أشواقنا إليه .. ومهما طالت بنا أيام السفر فإننا نطارده فى أحلامنا حتى وإن لم نصل إليه .

الفن .. والخلود

قالت : أراك تتحدث كثيراً عن الزمن ؟

قلت : لأن الزمن عندى هو الحياة .. وأعمار الناس ليست أكثر من قطرات صغيرة فى بحر هادر عنيد .. إنها بعض الثمار القليلة فى حديقة واسعة لا نعرف حدودها .. ولا ندرك حجم ثمارها : ما بقى منها على الأشجار ، وما سقط منها على الأرض واحتضنه التراب .

وحينما أصحو فى الصباح فأنا أسحب يوماً من رصيد أيامى .

وحينما أنام فى المساء فأنا أودع من عمرى يوماً .

والزمان مساحة كبيرة للحلم .. على أطلاله بقايا أحلامنا المكسورة ، وظلال أحلامنا المنتصرة .

ولكن الزمن أغنية طويلة سمعناها ممن جاءوا قبلنا .. وسوف يرددها من سيجىء بعدنا . ونحن لا نعرف بدايتها .. ولم نصل إلى نهايتها .. حتى وإن حاولنا ذلك .

قالت : ولكن كما فهمت الآن من كلامك فإن هناك فرقاً بين العمر والزمن ، رغم أننا نتحدث كثيراً عنهما ، وكأنهما شيء واحد .

قلت : العمر هو المساحة التي أتيح لنا أن نعرفها من وجه الزمن. وقد تكون هذه المساحة صغيرة أو كبيرة .. ولكنها الشيء الوحيد الذي شاهدناه وعرفناه وعايشناه .. فالعمر يشمل تجارب الإنسان في حياته .. وهو تلك المساحة الصغيرة التي يملكها على هذا الكون .. ولكن الزمن يحمل تجارب الحياة : ما عاشها الإنسان واقعاً .. وما ورثه امتداداً .. وما سيتركه بعد ذلك لأجيال أخرى ستجيء .

والعمر يحمل كل صفات الزمن ، وهو ليس أكثر من جزء منه .. ولكنه الجزء الذي يحمل كل صفات الكل .

والناس تعيش العمر .. وتبقى بالزمن .

قالت : ولكن ما الفرق بين العيش .. والبقاء ؟

قلت : البقاء لا يرتبط بالعمر .. ولكنه يرتبط بالزمن . فقد يرحل الإنسان من دائرة العمر .. ولكنه يبقى في دائرة الزمن .

ولهذا فليس معنى انتهاء العمر .. انتهاء كامل للإنسان .

قالت : لا أفهم ما تقول .

قلت : سأعطيك مثلاً يؤكد وجهة نظري .

حينما مات أبي رفضت أن أراه بعد رحيله .. ورفضت أيضاً أن أرى مراسم دفنه وهم يوسدونه التراب ، رغم أن الناس يفعلون ذلك ،

وكثير من الأبناء يفضلون أن يضعوا آباءهم بأيديهم فى التراب .. ويحملونهم على أعناقهم .. ولكننى لم أفعل ذلك .

قالت : ولماذا لم تفعل ذلك ؟

قلت : لأننى أردت لأبى أن يبقى فى الزمن .. وإن كان قد رحل بالعمر، فالعمر سنوات قدرها الله سبحانه وتعالى لنا ..

والموت يعنى رحيل الجسد الذى انتهى عمره .

فالإنسان يعيش سنوات عمره بمقاييس العمر .. ولكن هناك مقاييس أخرى للبقاء يصنعها الزمن .

ولهذا نجد أن صراع الفنان مع عمره .. وليس مع الزمن . فالفن يصارع العمر .. ولكنه يتوحد مع الزمن ، وخاصة إذا كان فناً عظيماً .

ومن هنا يأتى ما نسميه بالخلود ؛ ذلك الذى يستطيع أن يستوعب المحدود واللامحدود . إن الخلود يعنى أن الفنان استطاع أن يتجاوز بفنه حدود عمره ليشارك الآخرين أعمارهم .

ونحن مازلنا حتى الآن نقرأ أعمال شكسبير .. وشوقى .. وكأنهما يعيشان بيننا .. ومازالت موسيقى شوبان .. وأشعار المتنبى وابن زيدون .. ومازالت حكايات روميو وجولييت ومجنون ليلى .. ونرى لوحات مايكل أنجلو . ودافنشى ، وتماثيل مختار .. إن معنى هذا أن هؤلاء الفنانين العظام استطاعوا أن يجعلوا من عمرهم زماناً .. ولهذا فإنهم عاشوا أعمارهم فى الأرض ورحلوا ليعيشوا مرة أخرى من خلال أعمار الآخرين .

ولهـذا أردت أن أجـعل من عـمـر أبى زمـاناً وإن لم يكن فناناً كبيراً.. ورفضت أن أرى مراسم رحيله حتى يشاركنى بقية عمرى .. وأنا أتساءل كثيراً : لماذا نحاول أن ننهى الأشياء داخلنا ؟ إنها قد تنتهى حولنا بكل أشكالها .. ولكنها يمكن أن تبقى فى أعماقنا .

قالت : ولكنك خلطت كثيراً بين ما نراه .. وما نعايشه .. فقد نرى الأشياء ولا نعايشها . وقد نعايشها ولا نراها .

قلت : وصلت إلى نقطة مهمة .. فالمعايشة أعمق كثيراً من الرؤية .. إنها تماماً مثل الفرق بين الوجود والتواجد .. فكلنا موجودون.. ولكننا لسنا جميعاً متواجدين ، وليس كل ما حولنا جديراً بأن نراه .. وليس كل ماهو بعيد لا نستطيع أن نراه .. ولهذا فإن هناك مقولة سخيفة تقول .. « إن البعيد عن العين بعيد عن القلب » فقد يكون الإنسان أمام العين وأبعد ما يكون عن القلب .. وقد يكون أبعد من بعيد فى المكان .. وهو يسكن القلب ..

تغيبين عنى وكم من قريب .
يغيب وإن كان ملء المكان
فلا البعد يعنى غياب الوجوه
ولا الشوق يعرف قيد الزمان .

إن الزمان عندى هو المطلق الذى لا حدود له .. وحينما أتعامل مع الزمان فإننى أسبح بكل حريتى .. ولكننى حينما أتعامل مع العمر فأنا أرى حولى سنوات العمر قضباناً تحاصرنى ..

فى الزمن أملك حريتى .. وبقائى .
وفى العمر أصنع سجنى .. ونهايتى .
وأنا لا أحب أن أهرب من حريتى إلى سجنى .

أغنية .. وذكرى

كان عبد الوهاب يغنى أغنيته الجميلة « كل ده كان ليه » وعادت معها ذكريات الأمس تلقى ظلالها على كل شىء فى نفسى .. وسافرت بخيالى بعيداً ، وتذكرت أول مرة سمعناها معاً .. وكان هذا الأمس البعيد مازال باقياً بكل حلاوة الأيام ومرارتها ، فمازالت أصداء اللحن تطوف فى سمعى ، ومازالت الكلمات والصوت العبقرى يحلقان حولى كأن الزمان توقف بنا عند هذه اللحظة التى أودعناها سرنا وعمرنا الجميل .

أغنية قصيرة يستعيد الإنسان معها عمراً كاملاً بكل الأحلام فيه والآلام .. بكل انتصاراته وهزائمه وانكساراته .. وهذا هو الإنسان .. هذه المعجزة الإلهية التى جعلها الله خليفته على الأرض .. يحفظ كل شىء فى رأسه .. لا يحتاج إلى أماكن يخبئ فيها ذكرياته وأيام عمره.. إنه يحمل كل هذه الأشياء فى صندوق صغير .. لا يستطيع أحد أن يفتحه أو يقتحم رحابه . كل شىء ساكن فيه .. العمر والذكريات وتجارب الأيام .

كنت دائماً أقول أن أسعد الناس هم هؤلاء الذين يملكون رصيداً كبيراً من الذكريات .. فحينما تغرب الأشياء .. وتتوقف أنفاس الزمن حولنا .. ونشعر بغربة بين الناس .. وتتراجع الأضواء والمشاعر حولنا نشعر أن ذكرياتنا هى الشىء الوحيد الذى يؤنس وحدتنا ..

وفى أحيان كثيرة يصبح الإنسان كالوارث السفيه .. يبدد أيامه ورصيد عمره فى كل مكان .. ويحرق كل السفن ولا يصل إلى شاطئ..

البعض منا يفضل أن ينسف كل الجسور مع من يحب قبل أن يفارقه .. يريد كل منهما أن يحرق آخر اللحظات الجميلة .. طمعاً فى لحظات أخرى ستكون أجمل ..

تقف المرأة ثائرة وتلقى كل ذكرياتها فى وجه من تحب ، وتسمعه أقسى العبارات قبل أن تتركه ؛ لأنها ترى أن هناك طابوراً من المعجبين فى انتظارها ، وأن آلاف الأيدى تمتد نحوها ، وأن العمر أمامها فيه المتسع والمزيد .

ويفعل الرجل الشىء نفسه .. يحاول أن يحطم آخر ما بقى بينهما ..

فهناك عشرات الوجوه التى تنتظره .. ومازال فى العمر الكثير.. ويتصور كل منهما أن مساحة الأحلام كبيرة ..

ويفترقان .. وتتسع فجوة الأيام .. وتزداد برودة المشاعر ، وتتساقط لحظات الصدق ، ويخبو الإحساس الجميل ، ويحاول كل منهما أن يعيد الحب القديم مع إنسان آخر .. ويفشل . ويكتشفان بعد فوات

الأوان أن ما ضاع بينهما غير متاح مرة أخرى .. وأن الذى مات كان أجمل ما أعطى العمر ؛ لأن الحب زائر عزيز لا يزورنا فى كل الأوقات

سمعت أغنية عبد الوهاب وعدت أتذكر أيامنا معاً .. يوم كان الزمان جميلاً .. وكانت أحلامنا أكبر من كل الأشياء حولنا.. وكانت قلوبنا أقوى من كل حماقاتنا ..

شعرت وأنا أسمع عبد الوهاب أننى حافظت على نفسى .. يوم أبقيتك فى أعماقى .. كان من السهل أن أفعل ما فعلتِ وأن أنسف كل الجسور ونحن نفترق .. لكننى فضلت أن أبقى عليك من أجل نفسى وليس من أجلك .. لأن ذكرياتى هى عمرى .. ولن أستطيع أن أعيش عمرى مرتين .

حينما حافظت عليك فى نفسى كنت أحافظ على عمرى الذى لا أملك غيره .. وشعرت أننى كسبت .. وأنكِ خسرتِ .. فلم تحاولى أن تحافظى على أى شىء مما كان بيننا .. أحرقتَ كل ذكرياتك معى طمعا فى ذكريات جديدة ، وأحرقت كل ثيابك طمعاً فى ثياب جديدة .. حتى رأيتك عارية من كل الذكريات مثل الأشجار التى خسرت فى ليلة شتاء كل أوراقها ووقفت وحيدة تتلقى صفعات الشتاء القاسية ، وكنت أشفق عليك وأنا أراك كقطة مسعورة قررت أن تأكل أبناءها .. إن ذكرياتنا تشبه أبناءنا تماماً .. ومن يبع ابنه .. يبع ذكرياته .

إن ذكرياتنا هى دفء ليالينا إذا اشتدت بنا أحزان الشتاء .. ومن غيرها نصير عرايا نحاول أن نجد شيئاً يسترنا .. وقد نكتشف أحياناً أن

ثيابنا بالية ، وأن الأيام قد فعلت بها ما فعلت بنا ، وأننا لم نحافظ عليها وتركناها عرضة للإهمال والصقيع والضياع .

شعرت بسعادة غريبة وأنا أسمع عبد الوهاب .. قد أكون خسرتك فى رحلة الحياة ولكن الشىء المؤكد أننى لم أخسر نفسى .. ولكن الشىء المؤكد أيضاً أنكِ خسرتِ الاثنين معاً .. خسرتِ نفسك .. وخسرتِ أيامك معى ..

ورأيت صورتك من بعيد وأنت حائرة كالفئران الهاربة تبحثين عن جحر جديد .

وابتسمت .. وعدت أدندن مع عبد الوهاب « كل ده كان ليه »..

الصيف .. دجّال كبير

أوشك الصيف أن يجمع أيامه وتذكاراته ويرحل ..

الشيء الغريب أن الصيف قد اعتاد في السنوات الأخيرة أن يمارس عمليات النصب والاحتيال على الفصول الأخرى .. لقد اعتاد منذ سنوات أن يمد إقامته .. وبدأ يقتحم قدسية فصول أخرى وينتهك حدودها ..

إن الصيف يجيء الآن مبكراً ويقتطع جزءاً عزيزاً من فصل جميل كنا نسميه الربيع .. وللأسف الشديد لم يبق من ربيع أيامنا القديم غير أغنية حزينة يغنيها الراحل فريد الأطرش .. أما ربيع الزهور والجمال والحب والهواء النقي فقد غير عنوانه .. واستبدل محل إقامته ولم يعد له مكان في لهيب أيامنا ..

الصيف يمارس عمليات النصب فيقتطع جزءاً آخر عزيزاً من فصل آخر له حلاوته كنا نسميه الخريف .. وكنا نعرف فصل الخريف بتساقط أوراق الشجر والسحب التي تتناثر على وجه السماء في ليالي

القمر المضيئة ، وبعض النسمات الهادئة التي كانت تتسلل في ساعات العصارى على شاطئ النيل العتيق .

ولكن الزمان تغيرت أحواله .. وتبدلت أشكاله ..

فالأشجار الجميلة اختفت تحت وطأة الجلادين الذين اعتادوا قطع رقاب كل ما هو عملاق في دنيا البشر والأشجار ، واختفت الأشجارالعتيقة من الشوارع .. ومع رحيل الأشجار رحلت العصافير ومعها جزء عزيز من أيامنا وذكريات ليالينا .. وغابت أفواج الأوراق الصفراء التي كانت تتناثر على أرصفة الشوارع في موكب وداع مهيب، وحلت مكانها مقالب الزبالة .. وانزوى الخريف حزيناً .. ووقف الربيع صامتاً أمام جبروت الصيف ونيرانه الزاحفة .. ووقفت الأشجار باكية على أيامها الراحلة مع ربيع مضى .. وخريف قرر أن يسافر .. كان الربيع يكسوها جمالاً .. والخريف يجردها من ثيابها لتعود أكثر شباباً.

وبدأ الصيف رحلة الاحتلال ..

اقتطع شهراً كاملاً أو أكثر من الربيع .. واقتطع شهرين من الخريف ، وأصبح الصيف نصف العام .

وفي عالمنا العربي تبدأ الحرارة رحلة الصعود مع شهر أبريل .. وتتزايد حدتها مع يونيه .. وتصل إلى قمتها في أغسطس .. ثم تأخذ معها الشهيد سبتمبر ..

ولا مانع من أن تعصف بالمأسوف على شبابه أكتوبر .. وأصبح الصيف سبعة أشهر بالتمام والكمال .

وأنا لا أحِب الصيف ولا أطيق لياليه ولا أفرح بأيامه .. فأنا من عشاق الحرية .. والصيف يخنقنى ..

إننى أحب الهواء النقى .. والسماء الجميلة .. والأشجار المورقة.. ولكن الصيف يمتهن حرمة هذه الأشياء . إنه يجعلنا عبيداً لجهاز مزعج اسمه التكييف .. هذا إذا كنا نملك أن نشتريه .. ومع أجهزة التكييف تضيق مساحة الكون ونتحول مع الأيام إلى جزء صغير من مجموعة أجزاء فى البيت .. ننتقل من كرسى إلى سجادة .. ومن السجادة إلى السرير ، وتصبح الحياة مجموعة من الكراسى .. ونصبح مع الوقت بعضاً منها .

وفى الصيف يشعر الإنسان أنه مشاع .. فإذا فتحت الأبواب والشبابيك فأنت مشرد أمام عيون الناس .. وإذا أغلقت الشبابيك اختنقت .

ولا أدرى ما الذى غير حالنا .. فقد ارتفعت حرارة الجو بصورة رهيبة .. وأصبحنا نقترب فى أحيان كثيرة من مناطق الغليان .. رغم أن كل شىء فينا يغلى تحت لهيب الأسعار .. وامتهان آدمية البشر .. وتراجع القيم .. وسقوط الأخلاق ..

ويقولون إن فى السماء ثقباً .. وإن الأوزون هو السبب .. وأن أشعة الشمس زاد لهيبها .. وارتفعت نيرانها .. ولا أدرى هل هذه الحرارة حرارة الشمس أم بعض من لهيب جهنم أرسله الله إلى عالمنا لعله يفيق من غفوته ..

أم أنها التجارب النووية التى تتم فى الصحراء وتحت الماء دون علم منا فليس لنا فيها ناقة ولا جمل .. فنحن لا ننتجها .. ولا نعرف عنها شيئاً .. ولم نأخذ منها غير حرارة الجو والغازات السامة ..

لا أدرى لماذا أصبح الصيف فصلاً ثقيلاً .. ولكننى مازلت أحلم بالصيف القديم الذى عشقناه يوماً حينما كانت ليالى القاهرة جميلة ومشرقة مع صوت أم كلثوم وليالى القمر وعبد الوهاب والنهر الخالد وأغانى الكروان الراحل على شاطئ النيل قبل أن تنطلق على شواطئه الخوازيق الخرسانية لتدفن تحت أثقالها أيام عمرنا الجميل .. مازلت أنتظر الصيف القديم .. ترى مازلت أحلم ..

أمنية .. وحيدة

قالت : أراك تتحدث كثيراً عن المشكلات ، ولا تقدم لنا حلاً ..

إنك تدعو لأخلاق ليس هذا زمانها .. ومثاليات ليس هذا أوانها..

إنك تغنى للحب وأنت واثق أنك لن تجد من يسمعك .. وتحاول أن تبعث الضمائر التى ماتت وأنت تعرف أنه لاحياة لمن تنادى .. يخيل إلى أحياناً أنك تعيش فى زمن غير زماننا .. وتتكلم لغة غير التى نتكلمها ..

أرجوك أن تقدم لنا حلاً واحداً لمشكلة واحدة تطرحها .. إنك تدعونا لعالم من الأحلام وأنت أول من يعلم أنها أبعد ما تكون عن أيدينا ..

قلت : ليست مسئوليتى يا سيدتى أن أجد حلولاً لمشكلات الإسكان والمجارى والمواصلات وتنظيم الأسرة وحرائق الاختلاسات ، فهذه يحاسب عليها كل مسئول جلس فى مقعد المسئولية ولم يفعل شيئاً..

أما أنا فلست مسئولاً عما وصلت إليه الأحوال ، فلم أكن شريكاً فى شىء .. ولكن مسئولية الشاعر هى أن يعطى الناس حلماً.. لأن الحياة مع هذا الكم من الكآبة ستصبح كهفاً مخيفاً بدون الأحلام ..

إننى أبحث عن تلك الصورة التى ينبغى أن تكون عليها الحياة والأشياء والعلاقات بين البشر .. وإذا اقتنع بوجهة نظرى شخص واحد من كل ألف قارئ أكون حققت إنجازاً عظيماً .. إننى أعرف أن الحديث عن الأحلام شىء ثقيل على النفس ، وخاصة إذا كان الواقع ثقيلاً.. ولكن الأحلام هى التى تعطينا القدرة على استمرار الحياة ..

وليس معنى ذلك أن أعيش فى برج عاجى ، وأفصل نفسى وحياتى عن الواقع الذى أعيش فيه .. إننى أعيش هذا الواقع بكل همومه ومشاكله وإحباطاته .. ولكن هذا الواقع رغم قسوته وجبروته لم يستطع أن يسلبنى قدرتى على الحلم .. إن الشاعر يقف على قدميه ولكن لا ينبغى أبداً أن يفقد قدرته على أن يحلق فى السماء .. فإذا غرق الشاعر فى واقعه فهذه نهاية مؤسفة لإنسان مسؤليته أن يصنع الأحلام.

قالت : أنت تصنع الأحلام ، وأنا أريد الحقيقة ..

قلت : كل الحقائق كانت فى بدايتها مجموعة من الأحلام .. وأعظم ما فى الفن أنه يمثل الرصيد الحقيقى لأحلام البشر .. إن الحلم هو الطاقة التى تولد الإحساس داخلنا .. والإحساس يمنحنا الإرادة.. والإرادة تمنحنا القدرة .. والقدرة تمنحنا القوة .. والقوة هى التى تجعل الحلم واقعاً ..

قالت : الحلم واحة جميلة يسكنها العاطلون من البشر ..

قلت : أنا لا أتصور الحياة بدون الحلم .. ابتداء بالاقتصاد وانتهاء بالفن ..

إن الخطط الاقتصادية فى العالم تبدأ بتوقعات .. واحتمالات .. واستنتاجات .. أى أن فيها جزءاً من الخيال .. فالاقتصادى حينما يضع خطته يتصور أن موارد الدولة سوف تزداد .. وهذا حلم .. وأن إمكاناتها تتطور .. وهذا خيال يعتمد على الأرقام والحقائق . والسياسى العظيم لا بد أن يكون صاحب خيال خصب .. وأحلام كبيرة.. وأسوأ السياسيين رجل لا يحلم .. ولم يكن غريباً أن يكون تشرشل زعيماً سياسياً كبيراً وأديباً عظيماً .. وكذلك ديجول كان عاشقاً للأدب والفنون .. حتى الحجاج بن يوسف الثقفى كان طاغية وواحداً من أبرز خطباء عصره ..

قالت : ولكننى لا أومن بشىء إلا الحقيقة .. أنا لا أعترف إلا بالشىء الذى أراه وأشعر به .. وهذه هى الحياة .

قلت : إن أهم الأشياء فى حياتنا أبعد الأشياء عن الواقع .. نشعر بها.. ولا نراها .. نحسها .. ولم تتجسد أمامنا .

إن كل المعتقدات الدينية بدأت فى أعماقنا وسكنت قلوبنا وإن كنا لم نر شيئاً منها بأعيننا ..

إننا نؤمن بالله سبحانه وتعالى ، ونحن نراه فى مخلوقاته .. ونؤمن بالأنبياء ولم نر أحداً منهم .. ونؤمن بالآخرة ، ولم يرجع لنا واحد من الراحلين لكى يخبرنا بما رأى .. ونؤمن بالثواب والعقاب .. والجنة

والنار ، ونحن لم نر شيئاً منها .. ونؤمن بالحياة ونحن لا نعرف تماماً كيف كانت بدايتنا معها .. ونؤمن بالموت ولا نستطيع أن نحدد ساعته..

كل الأشياء الكبيرة فى حياتنا أبعد ما تكون عن الواقع الذى نراه بأعيننا ونلمسه بأيدينا .. ولكنها أقرب ما تكون إلى قلوبنا لأنها تمنحنا الطمأنينة والأمان .

قالت : أريد الحقيقة ... لأن الأحلام لا تكفينى .. إنها لا تصنع رغيفاً .. ولا بيتاً .. ولا تدفع مصاريف الأبناء فى مدارسهم ..

قلت : أنت تتحدثين عن حقائق أخرى غير تلك التى أتحدث عنها.. فالحقيقة التى أقصدها مازالت مجال خلاف بين الناس باختلاف مسئولياتهم الفكرية .. فكلنا يبحث عنها على طريقته .. نعيش الحياة وعيوننا على الموت .. ونبدأ مع الميلاد ولا نعرف طريقنا للنهاية .. ونحب .. ولا ندرى كم يطول عمر الحب .. ونحلم حتى إذا صار الحلم بين أيدينا بدأنا رحلة البحث عن حلم جديد .

ونملك المال .. ونفتقد الراحة .. وإذا وصلنا إلى راحة البال تمنينا راحة الجيوب .. وإذا تحققت راحة الجيوب صرخت أمراض البدن .. وإذا أحببنا تمنينا لو تزوجنا .. وإذا تزوجنا اشتقنا لحريتنا .. فأين الحقيقة فى كل هذه المتغيرات .. ما نريد .. ومالا نريد .. ما نحب وما نكره .

يا سيدتى إذا كانت الحقيقة هى ما اتفق عليه الناس فالناس لم يتفقوا على شىء حتى الآن .

قالت : وما الحقيقة عندك أنت ؟

قلت : إننى أتمنى أن أعيش الحياة كما أحب .. وياليتنى أستطيع .

ويجىء الحب .. بلا موعد

قالت : أريد أن أحب .. خبرنى بربك هل للأشواق مواسم .. وهل للحب فصول يزهر فيها .. ؟

قلت : ليست للحب مواسم .. وليست له فصول يزورنا فيها .. أو يرحل فيها عنا .. ولكن الحب صدفة عظيمة .. تأتى بلا موعد وتجىء على غير انتظار .. والشىء الغريب أن أهم الأشياء فى حياة الإنسان قد تحملها صدفة .. إننا نختار بعض الأشياء فى حياتنا ولكننا لا نستطيع أبداً أن نختار حياتنا كلها .. إن أخطر الأشياء تجىء خارج حدود إرادتنا ..

فنحن نولد ولا نعرف ميعاد ولادتنا ولا المكان الذى سنولد فيه.. ونحن لا نستطيع أن نختار ساعة مولدنا .. وبنفس الدرجة لا نعرف لحظة رحيلنا .. ولا نختارها ..

ومثل الحياة ومثل الموت يكون الحب .. إنه خارج حدود إرادتنا ولا نستطيع أبداً أن نختاره .. بل إننا كثيراً ما نمضى إليه ونحن لا نعرف .. وقد نقع فى شباكه ونحن لا ندرى .. إننا نرى فيمن نحب كل

ما هو جميل .. ولانرى لحظة قبح واحدة ، ونرى أنفسنا من خلال من نحب ، ونرى الحياة حولنا بكل ما فيها وما عليها بعيون من نحب . ونشعر أن الزمن الذى جمعنا هو أجمل الأزمنة ، وأن الأماكن التى احتوت خطانا هى أفضل الأماكن ..

إن الحب يجعلنا نرى الأشياء بعيون وقلوب جديدة .

إنه يجدد شبابنا ويعيد الدفء لأيامنا والحياة إلى قلوبنا ..

قالت : لاشك أن هناك سراً ما يستطيع الإنسان أن يحب إذا ما وصل إليه .. هل هناك شيء داخلنا يجعلنا نحب .. وهل هذا مرتبط بالعمر والزمن .. أم أنه يرتبط بالقدرة على الإحساس ..

قلت : أنا على يقين أن مشاعر الإنسان مثل الأرض تماماً .. فى أحيان كثيرة تكون مهيأة لاستقبال البذرة .. وفى أحيان أخرى ترفض ذلك .. وهذا يرتبط بمواعيد زراعتها والمناخ الذى تعيش فيه ..

ومثل الأرض يكون الحب .. قد ينبض القلب فى الوقت المناسب وقد يجيء الحب فى الزمن الخطأ .. فإذا كان الوقت مناسباً انطلقت البذرة فى أعماق الأرض وارتفعت أوراقها فى السماء.. وإذا كان الوقت غير مناسب ماتت البذرة وتحللت وتوارت فى أعماق التراب .

قالت : معنى هذا أننا نملك أن نحب ..

قلت : إننا نملك فقط أن نصنع من الشرارة حريقاً .. ونملك أيضاً أن نطفئها .. فقد يتسرب إحساس جميل فى أعماق الإنسان فيشعر براحة غريبة مع شخص آخر .. ويبدأ بينهما الحوار .. ويتحول الحوار

إلى تفاهم .. ويتحول التفاهم إلى نوع من الألفة .. ثم يصبح نوعاً من الاهتمام .. ثم يتعود كل منهما على الآخر .. وتتوافق أشياء كثيرة بينهما فى الفكر والروح والنظرة للحياة .. والإحساس .. وهو ما يسميه الناس الحب .. وهذا النوع من الحب يشبه إلى حد كبير العطر المقطر الذى يأخذ وقتاً طويلاً ويعطينا أجمل الروائح ، وهناك حالات أخرى من الحب تشبه الإعصار .. أن يجد الإنسان نفسه وقد تلاشى وضاع فى شخص آخر بلا مقدمات .. يشعر أن كلا منهما اكتسح الآخر دون استئذان ، وقد لا يستغرق هذا وقتاً طويلاً .. فقد يحدث فى أيام قليلة وربما فى ساعات مثل الزلازل التى يتغير معها شكل الأرض فتختفى أشياء .. وتنبت أشياء أخرى .

قالت : إننى أحلم بهذا النوع من الحب .. أريدإنساناً يكتسح حدودى.. وينسف معاقلى ويجىء كالإعصار .

قلت : هذا النوع من الحب بالذات يجىء بالصدفة .. ولا يجىء أبداً بالترتيب .. فقد يمضى عمرنا ولا يجىء . إنه يشبه الدائرة الكهربائية التى تنطلق بمجرد اتصالها فتعطى الأضواء للكون كله ، وإذا لم يحدث هذا الاتصال يظل كل منهما بعيداً عن الآخر ، وقد يرحل العمر ولا يلتقيان .

فالحب قد يجىء مثل نسمة هادئة تتسلل فى صمت أيامنا ويتغير معها كل شىء .. وقد يجىء إعصاراً يغرق الإنسان ويطهره من كل شوائب عصره وزمانه .

قالت : وما هوالحل .. ماذا أفضل ؟..

قلت : يا سيدتى الحب مثل كل الأقدار التى تقود سفينة أيامنا، وبعض الناس يرى الحظ فى المال أو الجاه ولكننى أرى أن الحظ الحقيقى فى الحب ؛ لأن الحب لا يدق إلا أبواب المحظوظين من البشر .. وأنا أستطيع أن أشترى لك عطرا.. ولكننى لا أستطيع أن أشترى لك حظاً..

الباحثـــون عن الكمال

الباحـثـون عن الكمـال هم أتعس الناس فى هذه الحـيـاة ، إنهم مساكين فى هذا الزمن لأنهم غرباء .

وهذه القلة من البشر تعـانى من مشـاكلها مع الناس .. وتعانى أيضاً من مشاكلها الخاصة . فالإنسان حينما يصل إلى درجة من المعرفة يحاول أن يترجمها إلى سلوك ، والأفكار العظيمة كثيراً ما تصطدم بالواقع حينما تحاول أن تصبح وجوداً حياً .

وما أكثر الأفكار العظيمة التى عاش أصحابها تحت ظلالها وهم سعداء بها وظلت حبراً على ورق .. أما هؤلاء الفرسان الذين حاولوا أن يجعلوا من الفكر وجوداً فهم الذين دفعوا الثمن .. وهم شهداء الإنسانية العظام ، ومن السهل أن يقول الإنسان شيئاً ولا يفعله أو أن يطالب الآخرين بأن يفعلوه .. ولكن الصعب دائماً أن تبدأ بنفسك وأن تفعل ما تقول ..

ولأن الكمال مساحة واسعة جداً من السلوك الإنسانى فإن قدرات

الإنسان تظل محدودة فى الوصول إلى أعماقه البعيدة .. إنه يشبه البحار التى لا نصل إلى أعماقها ولا نعرف حدود شواطئها ..

ولهذا يظل الباحثون عن الكمال فى حيرة مع أنفسهم ومع الناس، لأنهم سلكوا طريق المعرفة .. وأصعب الأشياء أن تعرف .. لأن المعرفة تفتح فى أعماقنا أبواب التساؤل ، لأن التساؤل يقودنا للدهشة.. ولأن الدهشة طريقنا للبحث ، والبحث ليس فى كل الحالات طريقاً مأموناً ..

ولهذا يدفع الإنسان ثمن حيرته ودهشته وتساؤله .. ثم يدفع مرة أخرى ثمن بحثه ابتداء بالبحث عن نفسه وانتهاء بالبحث عن هذا العالم الفسيح الذى يعيش فيه .

وهذا هو عبء المعرفة .. لأن الذين لا يعرفون يجلسون فى مكان ما على رصيف الحياة لا يعنيهم من جاء ومن ذهب .. وما بقى وما ضاع .. إنهم يشبهون سكان المناطق البدائية الذين يمشون على أيديهم وأرجلهم .. ويأكلون الحشرات والطيور .. ويتحدثون بالإشارة.. وتوقف بهم الزمن عند هذه المساحة الضيقة من الحياة . أما الإنسان الذى عرف وشاهد وجرب .. فهو دائماً فى حالة بحث عن الجديد .. وإذا وصل إلى شيء حاول أن يتجاوزه .. وإذا حقق حلماً زرع فى أعماقه حلماً آخر.

فالإنسان الذى يعرف يصبح أسيراً للمعرفة .. فهو قد أحب .. ولهذا لا يستطيع أن يعيش بغير مشاعر الحب ..ولأنه ذاق متعة الأشياء فهو لا يستطيع أن يعيش بعيداً عنها .

فهو يجد نفسه فى كتاب جديد .. ويحلق بكل جوارحه مع قطعة موسيقى .. ويجدد شبابه كل يوم مع حدائق الألوان .

وتتحول المعرفة إلى رغبة شديدة فى البحث عن المجهول .. وفى السفر دائماً فيما وراء الأشياء بكل رموزها وصورها .. ويصطدم الإنسان بالناس حوله .. إنهم أحياناً يرون فيه إنساناً مجنوناً وهو يرى أنهم مجموعات مختلفة من البشر جاءت إلى الحياة لتأكل وتشرب وتنام. وهو يحاول أن يفتح كل النوافذ والناس حوله لا يرون تحت أقدامهم .. وهم يرون أن سقف الحجرة هو أعلى نقطة فى هذا الكون ، وهو يرى أن السماء هى أولى محطات البشر للوصول إلى الأكمل .. وهم يرون الأشياء طقوساً .. وهو يرى الكون معنى ..

وهم ياحثون دائماً على كل ما يمكن أن تصل إليه الأيدى .. وهو يفكر دائماً فيما وراء الأشياء .

ولهذا يعيش الباحث عن الكمال غريباً لأنه اختار طريق المعرفة.. والمعرفة عالم واسع رهيب لا تكفيه سنوات العمر وإن طالت .. ولا يكفيه عقل الإنسان مهما اتسع .. ولهذا يسقط شهداء المعرفة فى منتصف الطريق فى رحلة بحثهم الطويلة عن الكمال ..

أما هؤلاء الذين اختاروا أن يعيشوا على أرصفة الحياة فهم أهدأ بالاً وأسعد حالاً ؛ لأنهم يجيئون الحياة كما يرحلون عنها فقد اختاروا أن يكونوا على هامشها فى كل شىء ..

أما الباحثون عن الكمال فإنهم يعانون متاعب الرحلة لأنهم يحملون أحزان زمانهم وما أكثرها .

ولن يتساوى أبداً من عاش مستكيناً على رصيف الحياة ، ومن دفع عمره ثمناً لرحلة البحث عن الكمال ..

الحلمُ فى الزّمنِ الخَطأ

وقفت تودعنى وتساءلت : هل ندمت على حبى .. ؟

قلت : جئتك مختاراً .. وأنا لا أندم على شىء اخترته حتى ولو أخطأت فيه .

قالت : وهل أخطأت اختيارى ؟

قلت : نحن لم نخطئ الاختيار .. ولكننا أخطأنا الزمن . نستطيع أن نختار الأشياء ولكن الأهم أن تجىء فى الوقت المناسب .. وهذا لا يكون فى مقدورنا دائماً أن نفعله ..

إننى أعتقد أننا التقينا فى الزمن الخطأ .. وكثيراً ما تمنيت لو عادت بنا الأيام قليلاً للوراء .. كلانا يحمل أثقال عمره التى تكاد أن تكبل أيامنا وأمانينا ..

إننا نمشى ونحن واقفون فى أماكننا .. ونحلم ونحن ندرك أن أحلامنا سحابات صيف لا ماء فيها ولا ظلال ..

وأسوأ الأشياء أن نبنى أحلامنا ونحن نعلم أن الحياة لن تعطينا أبداً فرصة تحقيقها .. ما أسوأ الحلم المستحيل ! .. إنه كارثة ..

قالت : ولكننى أحببتك ..

قلت : وأنا أيضا أحببتك رغم المسافات التى فصلت بيننا فى أسلوب الحياة والنظرة إلى الأشياء

قالت : وهل كان الخلاف بيننا حاداً .

قلت : كانت هناك خلافات كثيرة بيننا . فأنا اختار ببطء شديد.. وأنت يغلب عليك إيقاع الزمن والحياة ، ولهذا فإن اختياراتك سريعة..

وحينما نختار الأشياء ببطء وخاصة فى المشاعر فإننا ندخل فى تفاصيلها ونعرف أعماقها ونسافر فى خباياها ثم تتسلل المشاعر داخلنا وتسكننا وتصبح أعمق وأشمل .

أما الاختيارات السريعة فإنها تجىء مسرعة وترحل مثلما جاءت.

وهناك خلاف آخر بيننا ..

أنا أرى أن الحياة شخص واحد أجد فيه نفسى ، ويكفينى عن كل الناس .. فأنا على استعداد لأن أعطى عمرى لامرأة واحدة أحبها تغنينى عن كل نساء الأرض .. وأنت تحبين العلاقات العامة الواسعة.. أنا أريد وجها واحداً يسعدنى .. وأنت تريدين عشرات الوجوه والمرايا حتى ولو ضعت فيها .. أنا أحب أن أسكن مكاناً صغيراً يحتوينى

ويمنحنى الأمان ولو كان كوخاً صغيراً .. وأنت تحبين المساحات الشاسعة فى البشر والأشياء .. وهذه المساحات الكبيرة تفقدنى إحساسى بالخصوصيه والتفرد وأشعر معها أننى مشاع .

قالت : وهل أنت حزين على سفرى ؟

قلت : نعم أنا حزين على سفرك ، ليس لأننى مازلت اشتاق ماضينا معاً.. ولكن لأننى كنت أشعر أن وجودك يؤنسنى حتى ولو فصلت بيننا الأماكن وفرقتنا سبل الحياة ..

كنت أشعر فى لحظة ما باحتياج لك فأجدك أمامى إذا أردت .. أما الآن فسوف يصبح من الصعب جداً أن يجد كل منا الآخر فى اللحظة التى يريدها .. وقد نلتقى بعد ذلك ولكنه سيكون لقاء الغرباء.. أى أننا سنعتاد مشاعر الغربة .. فننتظر قدراً يلم شملنا .. أو صدفة تجمعنا..

قالت : ولكننى سوف أسأل عنك دائماً ..

قلت : إن أرفع درجات الحب هو أن يجد الإنسان حبيباً بجانبه وهو يعيش ساعة ضيق أو محنة ..

قالت : إننى أحاول أن أبدأ حياة جديدة .. ربما أجد إنساناً يسعدنى ..

قلت : كانت خطاياك دائماً هى الرغبة فى البحث عن الجديد .. والإنسان قد تتداخل الأشياء أمام عينيه فيعتاد البحث عن كل شىء جديد فلا يفرق بين حبيب جديد .. وفستان جديد ..

يجب أن يكون لدينا شيء من الحرص فى نظرتنا للأشـيـاء .. فليس من السهل أن يجد الإنسان كل يوم صديقاً جديداً .. ومشكلتك دائماً هى البحث عن الجديد .

قالت : كنت أبحث عن نفسى ..

قلت : احياناً نجد أنفسنا مع شخص ما ونتصور أنه من السهل أن يتكرر إحساسنا مع شخص آخر ..وهذا ليس خطأك وحدك ولكنه من الأخطاء الشائعة أن تكون لدينا قناعة بالقدرة على استبدال الأشياء .. لأن تغيير موديل السيارة يختلف تماماً عن تغيير نوع العمل .. أو استبدال حبيب أو صديق بآخر ..وأن منطق الاستبدال فى العلاقات الإنسانية شيء كريه أرفضه ولا أطيقه .

هناك رغبة دائمة عند الناس للتغيير ، وأنا إنسان أحترم علاقتى بالأشياء ، ولا أستطيع أن أفرط فيها بسهولة ، فأنا أجلس على مكتب بيتى منذ أكثر من عشرين عاماً ، وهناك علاقة طويلة بيننا ، وأصبح من الصعب جداً أن أستبدله بمكتب آخر ، وليس معنى هذا أننى إنسان جامد لا أتغير ، ولكننى أحترم كثيراً علاقتى بالأشياء ، والذى يحترم علاقته بالأشياء لابد أن يحترم علاقته بالبشر .

هَل يأتي زمان أكثر عَدلاً ؟

قال صديقى : لماذا تحاصرنا مشاعر الإحباط .. إنها تطاردنا مع أنفسنا.. وتحاصرنا ونحن مع الناس .. فإذا جلست مع شخص آخر فلا حديث إلا عن الأمانى الضائعة .. والأحلام المتكسرة .. هل نحن شعب يكره الرغبة في الحياة .. إن الإحباط إحساس مرير ومدمر.. إنه يعكس كل مظاهر التحلل والتراجع فى النفس البشرية ..

قلت : أصبح الكون صغيراً اجداً .. تزايدت أعداد البشر .. وتراجعت معها فرص الحياة .. وتكدس الناس فى طوابير الانتظار .. الكل يبحث عن فرصة .. وداست الأقدام من داست .. وسقط من سقط.. وفاز ، من فاز ، وألقت العواصف بعيداً بالبعض الآخر ، وألقت الشرطة القبض على من خرج من الطابور فعلا أو كلاماً.. وحينما وصل الناس إلى نهاية المشوار كان عددهم بالملايين ، وليس أمامهم غير كراسى تزاحموا عليها مرة أخرى وتكررت عمليات السقوط ..

إن الإحباط هو الابن الشرعى للفشل .. ونحن نعانى الآن من مظاهر كثيرة للفشل ..

والفشل لا يعنى بالضرورة ، أن أفشل فى عملى .. ولكن الفشل قد يأتى نتيجة إحساسنا بأن أحلامنا أكبر من واقعنا .. وأن قدراتنا أوسع مما أتيح لنا .. وأننا أكبر من زماننا .

وأسوأ أنواع الفشل هو المفروض .. الذى لم يكن بسبب ضعف قدراتك أو تراجع إمكانياتك ، ولكن بسبب الظروف التى تعيش فيها والمناخ الذى يحيط بك .

ومعظم الناس فى زماننا فاشلون بالإكراه .. فأنت تريد أن تعمل وكل شىء حولك يبعدك عن العمل .. وتريد أن تتفوق وتجد أن سلبيتك أفضل الطرق للوصول ، وأن ضعف شخصيتك أكثر المؤهلات للنجاح ، وإن كفايتك هى عدوك الأول .. وقدراتك هى خطيئتك الكبرى التى ستدفع ثمنها ..

وتكدست طوابير الأجيال أمام الفرص الضئيلة المتاحة ، وفى غفلة من الجميع تسلل ركب المنافقين والدجالين واللصوص وأخذوا مقدمة الحفلة وطردوا بقية الضيوف .

قال صديقى : إننى اتساءل كل يوم .. كيف أواجه شعورى بالإحباط ؟.

قلت : مشكلة الإنسان أن يفشل مع نفسه .. لأن فشلنا مع الآخرين قد يكون بسببهم .. أما فشلنا مع أنفسنا فنحن فقط الذين

نتحمل مسئوليته .. والفشل مع نفسى يعنى أننى فقدت ثقتى فى قدرتى ، وأن الجسور التى أقيم عليها علاقتى مع نفسى قد تهاوت .. وإذا كان من السهل على الإنسان أن يغلق أبوابه .. ويبتعد عن الناس فلن يستطيع أن يفعل ذلك مع نفسه .. ولهذا فإن التصالح مع النفس مسألة مهمة وضرورية ..

قال صديقى : وكيف أتصالح مع نفسى ؟

قلت : أن تعيش معها دائماً فى منطقة آمنة من الناس ، وليس معنى هذا أن تبتعد عنهم .. ولكن أن تختار أسلوبك فى الحياة .. فإذا سرق الناس جميعاً فليس من الضرورى أن تصبح لصاً .. وإذا تقدمت مواكب المنافقين « الزفة » .. فيجب أن تقول لنفسك بكل صراحة .. ليس هذا مكانى ..

وإذا خانك أحد .. فيجب أن تعلم أن من خان مرة سيخون مليون مرة ..

وإذا أغمضت عينيك كى تنام فاسأل نفسك .. هل ظلمت أحداً .. أو أخذت شيئاً ليس لك .. أو داست أقدامك فى زحمة الحياة بريئاً ..

إن مشكلة الكثيرين من البشر أنهم غرباء على أنفسهم .. وقد يسأل الإنسان نفسه عن آخر لقاء تم بينهما فيكتشف أن ذلك كان منذ سنوات طويلة ..

إن الناس فى زماننا يهربون من مطاردة أنفسهم لأن الخطايا كثيرة ، ولأن الجسور تهدمت ..

قال صديقى : ولكن الإحباط إحساس مرير ..

قلت : لو أخذ كل إنسان حقه فسوف تكون هناك فرص لأن يأخذ الآخرون حقوقهم .. ولكن مأساتنا أننا نأكل ونحن ننظر فى أفواه الآخرين .

إن كل إنسان منا ينظر فى يد أخيه يحاول أن يخطف شيئاً .. ومع عمليات الخطف والتهليب انطلقت الأيدى وتشابكت وسالت الدماء وسقط الشهداء وزاد عدد الضحايا .

ووقف الدجالون والأعلى صوتاً فوق رءوس الجميع يعلنون قيام دولة الجشع والتحايل ، وسقوط دولة القيم والعدل والأخلاق .. ولم يجد الشرفاء طريقاً غير أن يجلسوا على بقايا أمانيهم وأخلاقهم .. ينتظرون زماناً أكثر عدلاً ..

الحب .. سلطان الأنانية ..

قالت وهى تصافحنى فى لحظة وداع حزينة : لماذ لا نبقى أصدقاء . مازلت عزيزاً على نفسى .. ولن أنسى أننى أحببتك وأنك ملكت قلبى الذى لم يفتح أبوابه لغيرك .. وكل شىء كما يقولون نصيب .. وإذا كان القدر قد كتب علينا الفراق فلا أقل من أن يكون رحيماً بنا ويبقينا أصدقاء .. وسوف تكون صديقاً قريباً إلى قلبى .. قد ألجأ إليك فى محنة أو ساعة ضيق ..

قلت : أتمنى أن أكون لك صديقاً .. فهناك أشياء كثيرة ربطت بيننا غير الحب .. كان بيننا حوار ممتع وجميل وإحساس دائم بالآخرين.. ورغبة شديدة فى العطاء .. وكنت أجد نفسى دائماً فيك ..

كل هذه الأشياء يمكن أن تكون طريقاً للصداقة .. ولكننى أشعر أن هذا ليس وقتها على الإطلاق .. من الصعب أن يكون الإنسان مالكاً لبيت .. ثم أطلب منه أن يكون مستأجراً لغرفة فيه .. من الصعب أن يكون الإنسان هو كل شىء عند إنسان آخر ثم يصبح بين يوم وليلة واحداً من العشرات الذين قد نسأل عنهم حينما نريد ذلك .

إننا لم نفترق لأن أحدنا تنكر للآخر أو تخلى عنه .. ولكننا افترقنا وكلانا أحوج ما يكون للآخر .. فالناس يترك بعضهم بعضا حينما تتقطع خيوط الود وتتكسر مشاعر الحب .. ولكننا نفترق بسبب الظروف..

لقد جمعنا الحب وفرقتنا ظروف الحياة .. فلم نجد مكاناً يحتوينا ويلم أشلاء مشاعرنا المبعثرة على الطرقات .

كانت الظروف أقوى منك ومنى .. خمس سنوات كاملة ونحن نحاول أن نجمع المال الذى نشترى به عشاً وفشلنا .. وضقت أنت من الانتظار وخاصة مع إلحاح أسرتك .. وضقت أنا من عجزى وخاصة مع ضعف إمكانياتى .. فلا أنا قادر على أن أدخر لك مالا أوفر به بيتاً.. ولا أنا قادر على أن أتخلى عنك .

إن عذابى أضعاف عذابك .. وحزنى أكبر من كل أحزانك ..

لهذا لا أستطيع أن أصبح صديقاً بعد أن كنت بالأمس حبيباً ..

قالت : إننى لا أريد أن أخسرك تماماً .. أريد أن أحتفظ بشىء ما منك .

قلت : فى الحب لا نستطيع أن نبقى من الأشياء جزءاً .. إنه الشيء الوحيد الذى لا يقبل المساومة وأنصاف الحلول .. فإما نحب أو لا نحب .. وليس فى الحياة نصف حب ..

نستطيع أن نقطع جزءاً من الشجرة وتعيش .. وحتى الإنسان يمكن أن يفقد شيئاً من جسده ويبقى .. ولكن الطائر لا يستطيع أن

يطير بجناح واحد .. وكذلك الحب .. ليس هناك نصف حبيب أو قليل من الأشواق .. وليس هناك نصف وفاء .. أو جزء من الافتقاد .. ولا يمكن أن أكون وفيا نصف الوقت وفى النصف الآخر أشاور نفسى فى الخيانة..

وربما بعد سنوات تلتئم جراحنا وننسى .. ويصبح ما بيننا بذرة صداقة جميلة نستعيد معها ذكريات أيامنا معاً .. أما الآن فأنا لا أستطيع أن أكون صديقاً لأن جراحى أكبر من تسامحى .. وحبى أكبر من غفرانى .. وشوقى أكبر من عفتى .. ولهذا فإن حبى سيكون أكبر بكثير من الصداقة التى ترغبين فيها ..

قالت : ولكن بعض الناس قادرون على تحويل الحب إلى صداقة.. فلماذا لا نفعل ذلك ؟ ...

قلت : أنا أعرف ذلك .. ولكننى لست من هؤلاء .. أعرف صديقاً كان يحب امرأة وأصبحت الآن صديقته .. وكنت أراها تحكى له عن أخبارها ومغامراتها .. وكنت أشعر أحياناً وهما يتحاوران أن كليهما يمارس كذبة كبيرة على الآخر .. وأنا لا أحب الكذب فى القول.. فكيف أمارس الكذب فى المشاعر ؟.

قالت : أعطنى الفرصة كى أكون صديقة .. وبعد ذلك نقرر معاً إما نفترق تماماً أو نبقى أصدقاء .

قلت : أنا على استعداد أن أجرب مع أشياء جديدة ولكننى لا أمارس التجارب مع ذكرياتى .. لأنها عمرى الذى لا أستطيع أن أعيشه مرة أخرى .

قالت : الصداقة إحساس جميل ..

قلت : ذكرياتى معك ستكون أجمل .. سوف تتخلص الأشياء من كل الشوائب فيها .. وسوف تتجرد وتتلاشى وتصبح ظلالاً نراها من بعيد ، ونعيش فيها وإن كانت ذكرى ، ونراها وإن كانت أطياف زمان رحل .

إننى أحترم الصداقة وقد تفوق فى مشاعرها الحب .. ولكن بشرط أن نبدأ أصدقاء .. لأنه من الصعب أن نكون عشاقاً وتنتهى بنا الرحلة إلى شواطئ الصداقة .. من السهل أن تتحول الصداقة إلى حب.. لكن الصعب أن يتحول الحب إلى صداقة .. فالحب سلطان الأنانية .. والصداقة واحة يلتقى فيها الجميع ..

الصداقة شارع كبير يجمع الناس جميعاً ، والحب غرفة صغيرة تجمع أسرارنا ..

قالت : دعنا نجرب أسبوعاً واحداً ..

قلت : كانت سعادتى دائماً أن أفعل شيئاً ترغبين فيه ..

ولكننى هذه المرة لا أريد لنفسى ذلك .. إن فى أجندتى عشرات الأصدقاء .. ولكن قلبى لا يعرف غير عنوان حبيب واحد .. وأنا لا أريد أن أغير هذا العنوان .

امرأة جميلة .. فى المزاد

قالت : زوجى إنسان متعب للغاية .. أنا لا أطيقه .. ولكننى أعيش معه .. منذ تزوجنا وأنا أشعر أن كلينا أبعد ما يكون عن الآخر.

لقد كان زواجنا صفقة .. أعطيته شبابى وجمالى .. وأعطانى ماله وأرصدته ، أخذ منى أجمل سنوات العمر .. وأخذت منه المجوهرات والسيارات والسفريات .. أعطيته شبابى قطرة قطرة .. وأعطانى أمواله شيكاً شيكاً .. وكنت أشعر دائماً بكراهية شديدة له .. بقدر حبى لأمواله . أخاف وجهه .. وأحب محفظته ..

وأكره أنفاسه .. وأتمايل عشقاً أمام المجوهرات ..

لا أطيق أن أقضى بجواره دقيقة واحدة .. ولكننى أنتشى طرباً وأنا أطوف فى الشوارع بسيارتى المرسيدس .

هل أنا امرأة مجنونة .. أم عاقلة .. أم واقعية .. وكيف أتخلص من هذا الرجل الكريه .. لقد كنت فى يوم من الأيام امرأة رومانسية أحب الشعر والموسيقى والكلام الجميل ، ولكنه قضى على كل هذه

الأشـيـاء فى أعـمـاقى ، وأصـبـحت إنسـانة واقـعـيـة جداً فكيف أعـيـد رومانسيتى الضائعة .. ومشاعرى المفقودة ؟.

قلت : لا أعـتـقـد أنك كنت فى يوم من الأيام رومـانسـيـة فـقـد اعترفت من البداية أن زواجك كان صفقة .. اخترت المال وبعت الجمال..
واخترت المجوهرات وبعت الشباب .. وكانت السيارة عندك أغلى وأهم من السعادة .. والشيكات أحلى من راحة البال ، وحسابك فى البنك أهم كثيراً من كل دكاكين قلبك المغلقة .

لا ينبغى أن يكون لديك إحساس بالندم لأن القرار كان قرارك . ولأنك دفعت .. وقبضت .. وكلاكما سمسار أنت وزوجك .. هو تاجر شاطر وأنت امرأة باعت نفسها للشيطان .

قالت : ولكنى لا أحبه ..

قلت : وهو أيضاً بالتأكيد لا يحبك .. لقد اقتناك مثل كل أثاث بيته.. واشتراك مثل أى سيارة اشتراها .. وليس من الصعب عليه أبداً أن يستبدل الموديل .. أو يغير البيت فى أى وقت يشاء .

لقد كنت صفقة جميلة ربما خسر فيها بعض الأموال ولكنه تاجر يدرك ماذا أخذ منك .

قالت : ولكنى أسأل نفسى كثيراً : ماذا أفعل فى بقية عمرى معه . وكيف أحتمل كل هذ البؤس والحرمان ؟ ..

قلت : هل من كان بالأمس حلماً أصبح اليوم بؤساً ؟ ..

إننى أعتقد يا سيدتى أنه لا بديل لك عنه ، كلاكما خلق للآخر.

ولولا أن زوجك يدرك من البداية أن لك ثمناً وأن بمقدوره أن يدفع هذا الثمن لما فكر أبداً فى أن يدخل المزاد .. لقد تأكد أن هذا الجمال مطروح للبيع .. وأن هذا الشباب صفقة فى مزاد فاشترى ودفع الثمن :

قالت : لم أكن أعرف شيئاً .. كنت أريد السعادة ، وتصورت أن الغنى يمنحنا السعادة .. وكنت أبحث عن رجل غنى يسعدنى .. واكتشفت أن المال ليس هو الطريق الوحيد للسعادة .. ولهذا أريد أن أصحح أخطاء حياتى .

قلت : لن تستطيعى الحياة بعيداً عن المال عشقك الأول .. وقصة حبك الخالدة .. وإذا اخترت مرة أخرى وعاد بك الزمان للوراء فسوف تختارين رجلاً مثل زوجك .. سوف تبحثين عن صفقة أخرى ، واسألى نفسك أولاً .. كيف تتخلصين من حبك للمال .. وتستبدلين به حباً للبشر.. كيف تتخلصين من رغبتك فى امتلاك الأشياء لأن فى أعماقك ما يغنيك عن كل الأشياء .

إن الإنسان منا يختار عادة الأشياء التى تتناسب مع شخصيته وتكوينه ، ولكل شىء مكانته فى أعماق الإنسان .. هناك من يحب المال.. وهناك من يريد الشهرة .. وهناك من يبحث عن راحة البال .. ولكل غاية من هذ الغايات طريق يختلف عن الآخر .

وإذا كنا نكسب شيئاً فإننا فى المقابل نخسر شيئاً آخر .. حينما

نفرط فى شبابنا بالمال لابد أن ندرك أننا نبيع عمراً .. وإذا فرطنا فى راحة البال وداست أقدامنا وجوهاً كثيرة فى رحلة بحثنا عن النجاح فلابد أن ندرك أننا بعنا ضميراً ..

فالإنسان يشترى ويبيع .. هناك من يبيع نفسه ببضعة قروش..

وهناك من يرفض أن يبيع نفسه بكل أموال الدنيا .

قالت : ولكننى تمنيت رجلاً يسعدنى ولم أجده .

قلت : لن تجدى رجلاً يسعدك بمقاييس احتياجاتك وأحلامك وأمانيك .. كان من الممكن أن تجدى إنساناً يغرقك بمشاعره وحبه ، ولكنك أردت رجلاً يغرقك بأمواله ..

كان من الممكن أن تجدى إنساناً يحتويك وتعيشين معه أجمل سنوات عمرك ، ولكنك استبدلت رصيد الذكرى برصيد البنوك ..

قالت : هذا ما أريده الآن .. أريد قلباً يحتوينى ..

قلت : لابد أن تبحثى من جديد بما لديك من مال عن إنسان يبيع لك عمراً ويأخذ منك مالاً ..

ولكن الشيء المؤلم أنه سيدخل معك صفقة جديدة .. وسوف يشعر معك بنفس المشاعر التى تشعرين بها الآن مع زوجك .. وسوف يقول لنفسه بعد ذلك : كيف بعت عمرى لامرأة اشترت الحب بأموالها ؟.

لقد خسرت فى الصفقة الأولى وأرجو ألا تكون الصفقة الثانية كارثة جديدة .

ياسيدتى : الذين يريدون من الحياة كل شيء يخرجون منها عادة بدون أى شيء ..

زمَن الغناء .. القبيح

لأول مرة سوف أطالب رجال الشرطة بممارسة حق الشعب فى حماية ذوقه من المطربين والمطربات الجدد . لابد أن تطاردهم الشرطة فى أوكارهم الغنائية ، وتلقى القبض عليهم بتهمة إفساد الذوق العام .

والحقيقة أننى تصورت فى فترة أن أجهزة الإعلام والنقاد والجمهور قادرون على إسكات هذه الأصوات ، وأن الزمن كفيل بها .. وكنت أقول إنها ظواهر مرضية سرعان ما تختفى .. ولكن المشكلة تعقدت والأحوال ساءت .. وبعد أن كان فى الساحة « غراب » واحد أو « غرابان » انطلقت أسراب الغربان فى هجوم يشبه التتار فى هجمة شرسة تذكرنا بأفواج الجراد تلتهم كل ما هو أخضر . وفى زحمة هذه الهجمة سقطت أصوات كثيرة واعدة أمام تجار الخردة ومقاولى وكالة البلح الفنية من تجار الكاسيتات ..

كلمات هابطة .. وأصوات قبيحة ،.. وموسيقى مريضة .. وتجارة رابحة .. ولو كان الضحية ذوق أمة .. ووجدان شعب .

وإذا كان رجال الشرطة يطاردون المهربين والشمامين والنشالين لحماية المجتمع من شرورهم ، فلماذا لا يطاردون المطربين الذين أفسدوا أذواق الناس ؟ لماذا لا نقيم أجهزة لمكافحة الفن الهابط مثل أجهزة مكافحة المخدرات وسرقة السيارات وتجارة العملة ؟ . إننى على ثقة أنه لو تم القبض على مطرب أو مطربة وهو متلبس بالغناء لكان ذلك عبرة لكل من تسول له نفسه أن يغنى بصوته القبيح ويفسد أذواقنا ويعبث بمشاعرنا .

إننى أحياناً أتمنى لو رأيت شرطياً وهو يتسلل على شاشة التليفزيون ويلقى القبض على مطرب من هؤلاء أمام المشاهدين وعلى مسمع منهم حتى تختفى هذه الفئة من حياتنا الفنية . إن ذلك سيكون رادعاً لكل مطرب يملك « بجاحة » المواجهة .. ولا يملك جمال الصوت والإحساس .

وقد يبدو من دعوتى أننى ضد حرية الفن والفنانين .. ولكن من الخطأ أن نعتبر ذلك فناً لكى نطالب بحمايته .. إننى أطالب بحماية الفن من أمثال هؤلاء .. ولن يحمينا منهم إلا أجهزة الأمن ؛ لأن المشكلة زادت وتعقدت وأصبحت فوق ما تتحمل أعصابنا .

وإذا كانت دعوتى لتدخل رجال الشرطة فى هذه المشكلة مرفوضة فإنى أقترح أن نترك للجمهور حق الدفاع عن نفسه .. إن الملاحظ دائماً أن هؤلاء المطربين لا يغنون إلا من خلال شرائط الكاسيت أو التليفزيون.. ولم يحدث حتى الآن أن خرج واحد منهم وقرر أن يقيم حفلاً للجمهور ؛ لأنه يعرف مصيره ونهايته .. ولهذا فإن الحل فى رأيى

هو المواجهة .. بحيث نقيم لهم حفلات مفتوحة ونتركهم للجماهير تتولاهم برعايتها .. وتلقى معها نصيبها من الضرب .. لتنهال على رءوسهم الكراسي . لقد كنت في الأسبوع الماضي في أحد الفنادق وقام واحد من المطربين وحاول أن يغنى أربع كلمات فقط من أغنية جميلة لعبد الوهاب .. وأصابه الدوار وانسحب صوته وأخذ يخرج حشرجات مثل حشرجات الموت ، ولم يجد أمامه وسيلة يغطى بها فشله غير أن يقفز هنا وهناك .

وفى التليفزيون حدثت كارثة أخرى ..

قام مطرب شاب وحاول أن يغنى أغنية محمد عبد الوهاب الجديدة « من غير ليه » وفكرت ساعتها أن أتصل بأى ضابط فى قسم بولاق ليذهب إلى التليفزيون ويلقى القبض على المطرب إنقاذاً لنا وحفاظاً على أغنية جميلة أسعدتنا فى هذه السنوات العجاف ..

قد يبدو من كلامى أننى أكتب مشهداً كوميدياً فى مسرحية هزلية ولكنها فى الحقيقة كوميديا مُرة .. فأنا أشعر بحزن شديد لما وصل إليه حال الأغنية كلاماً ولحناً وأصواتاً ، بعد أن أصبح من حق أى إنسان مهما كان صوته قبيحاً أن يغنى رغم أنف الجماهير .

ولو كان « جحا » حيًا لأنشأ شركة كاسيتات لحماره العتيق وباع ملايين النسخ ، وربما حصل على الأسطوانة البرسيمية ..

رحم الله زمان الغناء الجميل ..

حينّما يرحل .. الفرسَان

قالت : لماذا اختفى الرجل الفارس ؟

قلت : ماذا تقصدين بالرجل الفارس .. هل هو ذلك الطيف الذى يتسلل إلى غرفة نومك وينتزعك فوق حصانه الأبيض ويطير ..

قالت : ليس هذا تماماً .. فأنا إنسانة - كما تعلم - خيالية .. ولكننى أيضاً واقعية .. إننى أعتقد أن فروسية الرجل قد غاب زمانها.. ولست أقصد بالفروسية هنا صاحب العضلات القوية فما أكثر هؤلاء ! .. ولكننى أقصد الرجل النبيل .

إننى أعتقد أن النبل أرقى درجات الفروسية .. كنت أشاهد الأفلام القديمة وأرى سلوكيات الرجل وترفعه الذى يصل أحياناً إلى درجة القداسة فى مظهره .. وكلامه .. ومواقفه .. وحتى فى قسوته .. كان الرجل نبيلاً فى قسوته ..

حتى هذه الأفلام أفسدوها علينا .. ففى السينما الآن أرى الرجل إما مهرباً أو شماماً أو انتهازياً أو تاجر مخدرات .. إن صورته دائماً مهزوزة فى الواقع .. وأيضاً فى الخيال .

قلت : أنا معك أن الرجل تراجعت مكانته على خريطة الحياة .. تراجعت أمام إغراءات المال .. وأشباح الفقر .. وأمام التقدم العلمى والمادي الرهيب .. تراجعت قيمة الإنسان وتدهورت أسعار البشر حتى فى الحروب .

كانت الحروب قديما تدور على أصوات الخيول والسيوف .. أى أن الشجاعة كانت من أهم مظاهر الفروسية لأنها مواجهة مباشرة بين الرجال يختبرون فيها معادنهم .

ولكن الحروب الآن تعتمد على الخداع والحيل والحسابات وآخر ما يظهر فيها شجاعة الرجال .

كان الفارس يرفض أن يقتل فارساً سقط منه سيفه ويعطيه الفرصة كى ينهض .. حتى فى الموت كان الرجل يعطى عدوه الفرصة أن يموت كريماً رافعاً سيفه .. ولا يموت تحت الأقدام .

ولكن الحروب الآن طعنات فى الظهر .. فالإنسان يقتل بالغازات السامة فلا يفرق بين طفل صغير يبتسم فى صدر أمه وبين عصفور يغنى فى السماء .. فالكل يموت .. من يحمل رشاشاً ومن يحمل زهرة..

والقتل الأعمى أسوأ أنواع الجبن ؛ لأنه يعكس حالة من الرعب والخوف والسقوط ، والرجل فى زمان مضى كان يحارب بجسده فيشعر بالخطر .. ولكنه الآن يحارب بمجموعة من الآلات يضغط هنا ويضغط هناك فتنطلق الصواريخ بلا هدف وتنفجر الغازات فوق الجميع .. ويموت كل شىء . إن الإنسان الآن يقتل بدون هدف .

ولهذا فأنا معك أن الفروسية بمعناها القديم قد انتهى زمانها .. لأن الفارس الحقيقى الآن مكانه المتاحف والأفلام القديمة وخيالات العشاق من أمثال حضرتك .

قالت : أحيانا أقول أن العالم فى حاجة إلى حروب جديدة حتى ينصهر معدن البشر ويخرج منهم الفرسان مرة أخرى .

قلت : حروب هذا الزمان هى حروب الجبناء وليست حروب النبلاء.. إنها حروب الاختراعات والعلوم والدمار وليست حروب الشجاعة.. لن يخرج فارس منها .. إن الطيار يحلق فى السماء بطائرته ويلقى القنابل فوق الناس والأشجار والأنهار لأنه يتلقى الأوامر .. ولا يفكر لحظة فيما يفعل ..

قالت : أريد رجلاً فارساً ..

قلت : وماهى الفروسية فى رأيك ؟.

قالت : الفروسية عندى أن يشعرنى الرجل بالأمان .. الفروسية هى الشموخ المتواضع .. والضعف القوى .. والقوة النبيلة ..

أريد رجلاً شامخاً يزينه التواضع .. وضعيفاً أمام إنسانيته .. قوياً بالمنطق ، ضعيفاً أمام الحق ..

أريد قوة نبيلة ؛ لأن أسوأ ما فى البشر هى القوة الغاشمة ، إنها لا تعرف الرحمة ..

أريد رجلاً يخافه الناس .. ويخاف هو من ضميره .

يرهب العالم بحكمته ..

ويمتلك القلوب برحمته .

وتهفو إليه النفوس تعلقاً به .. وليس خوفاً منه .

أريد الفارس الذى يلقى سيفه بعيداً ، ويلقى رأسه على صدرى فى نوبة بكاء يطهر بها نفسه .. وأشعر فيها أنه إنسان وليس مجرد قرصان .

هذه الأنواع من البشر انتهى زمانها .. لقد مضى فعلاً زمن الفرسان .

قلت : هذه النماذج التى تتحدثين عنها مازالت بيننا .. ولكنها بعيدة عن العيون .. إنها مثل اللآلئ الجميلة التى تسكن أعماق البحار وتحتاج إلى جهد كبير لكى نصل إليها .

هناك الرجل الذى يعطى عمره بلا مقابل من أجل قضية ، وحياته بلا ثمن من أجل من يحب ..

هناك الرجل الذى لا يغير مواقفه كل يوم ولا يبدل وجهه عشرات المرات لأنه يحترم شيئاً اسمه الصدق .

هناك رجال صامدون مخلصون مؤمنون ، ولكنهم للأسف الشديد بضاعة كتب عليها لصوص هذا العصر :

« هذه البضاعة للعرض فقط .. وليست للتداول بين الناس »

ياسيدتى ليس هذا زمن الفرسان .. إنه الزمن الذى يتوج كل جبان ..

كل سنة .. وأنا أحبك أكثر

قالت : أريد أن أودع العام معك ..

قلت : وأنا أريد أن أبدأ العام معك .

قالت : وما هو الفرق بين أن نبدأه .. أو نودعه .. المهم أن نكون معاً..

قلت : تريدين منى أن أعيش معك لحظة وداع وأنا أريد أن أعيش معك لحظة ميلاد.

تريدين نهاية شيء .. وأنا أريد بدايته ..

هذا هو الفرق بين من يبدأ حياة .. ومن ينهيها ..

إننى أريد أن أبدأ معك عاماً من الحب .. ولا أريد أن أسكب معك بعض الدموع ونحن نودع عاماً يرحل .

قالت : هذه فلسفة الشعراء .. فأنا لا أجد فرقاً على الإطلاق بين

أن نودع العام ونحن نستقبل عاماً آخر .. لحظة وداع .. ولحظة ميلاد.. نهار جديد يخرج من رحم الليل .. ورقة تسقط وأخرى تنبت مكانها ..

قلت : أنا لا أحب لحظات الوداع حتى وإن كنت أستقبل ضيفاً جديداً .. هناك فرق كبير بين الوداع واللقاء ..

حين أودع عاماً فأنا أعلم أننى لن أراه مرة أخرى .. إن وداع الأعوام يذكرنى بلحظات الموت .. فقد يسافر صديق ونلتقى .. وقد يهاجر حبيب وتجمعنا أقدارنا ربما بعد عام أو أعوام .. ولكن العام يرحل ولا يعود أبداً .. إنه قرار بالإعدام .. آخر اللحظات بيننا نتقابل فيها والعام يجمع أوراقه تحت ظلال الشموع وهى تخبو وتتساقط دموعها وسط ضجيج السكارى وضحكات المجانين .. إنهم يضحكون وهم يوسدون أعمارهم التراب .. فهل هناك حماقة أكثر من هذا ؟ أوراق تسقط من شجرة .. ولا تستطيع الورقة أن تمد قامتها مرة أخرى وتأخذ مكانها فوق جبين الأغصان .. إنها تذهب فى لحظة صمت طويلة فى عناق حزين مع التراب .. وكنا نراها يوماً فى ثياب جمالها والشعراء يكتبون فيها القصائد .. والطيور تغنى فوقها .. وها هى الآن تصرخ تحت أقدامنا .. ما أكثر الأشياء الجميلة التى طويناها تحت أقدامنا فى رحلتنا مع الحياة . كل ما سقط على التراب صار شيئاً منه.. حتى الطيور والعصافير .. وقبل هذا ، الأعمار .. نحلق فيها .. ثم لا نملك شيئاً منها .

إننى أريد أن أبدأ معك أملاً جديداً ..

قالت : وبماذا تحلم معى فى العام الجديد .

قلت : أن يظل حبنا قادراً على مواجهة براكين الحقد فى هذا الزمن .. فقد أصبح نباتاً غريباً فى غابات زماننا القبيح .. إن الحب يسعدنا بحلظاته .. ويشقينا بتحولاته ، وهو مثل كل الأشياء الجميلة نحلق معها فى السماء ثم نسقط فى لحظة لا نعرفها وتحتوينا الأرض .

أتمنى أن أبدأ معك كل يوم قصة حب جديدة ، أعيد اكتشاف ملامح وجهك وأشعر أننى أراك لأول مرة .. وأن ابتسامتك مازالت تحتوى أحزانى وتحمل عنى هموم زمانى .. وأن أحاديثنا ومحاوراتنا ستظل دائماً تفجر فى أعماقنا حيرة التساؤل .. ونشوة البحث عن الحقيقة .. وأننا لن نصبح يوماً مثل الناس حينما تهدأ فى أعماقهم كل الأشياء .. وأريدك دائماً ثورة فى ضميرى .. وواحة لمشاعرى .. وأملاً أستمد منه قدرتى على مواجهة الحياة .. إننا مطاردون فى هذا الزمن لأنه يطارد كل شيء جميل ونحن مازلنا من حراس الجمال فيه ..

قالت : وهل ستبقى كل هذه المشاعر بيننا ؟ يقولون إن الحب مثل كل الأشياء يبدأ .. ويكبر .. ثم يشيخ .. ما الذى يضمن استمرار الحب ؟ إننى أخاف أن يرحل مثلما ترحل الأيام .. والأشياء الجميلة .

قلت : لاشيء فى الحياة كلها له ضمان .. حتى العمر ليس له ضمان.. قد نطلب ضماناً على ساعة نشتريها .. أو شيكاً نطالب به.. أو سيارة نؤمن عليها من الحوادث .. كل هذه الأشياء جائزة .. فنحن نؤمن على أشياء نمتلكها كالعقارات والسيارات .. ولكننا لا نستطيع التأمين

على ما لا نملك .. ونحن لا نملك العمر .. ومن لا يملك العمر لا يمكن أن يدعى أنه يملك القلب .. ومادمنا لا نملك أعمارنا وقلوبنا.. فنحن لا نملك أى ضمان لمشاعرنا .

إن الحب يقودنا ولا نستطيع أن نوقف لحظات جنونه واندفاعه .. ولا نستطيع أن نسكت لحظات تمرده .. وهو مثل كل الأشياء ربما يعيش عمراً طويلاً ، وقد يموت فجأة فى حادث مؤلم .

شيئان لا أملك فيهما القرار : عمرى وقلبى ..

وأنا أعطيتك القلب والعمر معاً ، ولا تسألينى بعد ذلك أن أقدم لك الضمان .

لن أجد شركة تأمين واحدة تقبل أن تؤمن على قلب شاعر .. لأنه لا يعرف كم يعيش .. ولأن أحزان هذا الزمان أكبر بكثير من قدرته على الاحتمال ..

لا تسألينى هل أحبك غداً لأننى لا أضمن أن أعيش هذا الغد.. ولكننى متأكد أننى أحبك الآن .. وهذا يكفينى ..

كل سنة وأنا أحبك أكثر ..

حزنى يطاردنى

قالت : هل لديك علاج لكى أنسى رجلاً خاننى .. أحتقر نفسى كلما تذكرت أنفاسه وهى تعانق وجهى .. أكاد أموت وأنا أتخيل أيامى التى ضاعت بين يديه وهو يعبث بها كيفما أراد ..

أمتهن عيونى تلك التى ذابت أمامه شوقاً وهامت به عشقاً واحترقت بعده دموعاً .

كلما نظرت إلى وجهى فى المرآة أشعر بخطايا كل شئ فيه . لقد أعطيته كل شىء .. واكتشفت أنه لا يساوى أى شىء . إن أسوأ ما يعذبنى هو الندم ..

أندم لأننى عرفته .

وأندم لأننى أحببته .

وأندم أكثر لأننى أعطيته نفسى وهو لا يستحقها ..

إننى تعذبت من أجل إنسان يبدو فى عينى الآن كالحشرة الكريهة.

لقد كان حظى سيئاً فيمن أحببت .. وأسوأ الحظوظ فى الحياة أن تحب إنساناً لا يحبك ، أو تعطى قلبك لمن لا يعرف قيمته .

قلت : أنا دائماً أقول إن الفئران لا يمكن أن تعيش بعيداً عن جحورها . وأن العصافير لا يمكن أن تعيش بعيداً عن أوكارها .. وأن الأسماك الجميلة تصير رائحة كريهة إذا خرجت من مياهها ..

إن النحل لا يمكن أن يصنع عسلاً من بقايا القمامة .. كذلك الإنسان لا يستطيع أن يكون شيئاً غير نفسه إذا كان إنساناً مترفعاً ..

نراه راقياً فى كل شىء .. والإنسان المترفع لا يقبل أن يكون فى يوم إنساناً وضيعاً .. فالفئران لن تصنع عسلاً .. والزهور لن تتساوى أبداً مع الحشائش المتناثرة فى المستنقعات ..

فإذا كان رجلك قد خانك فلأنه إنسان وضيع من البداية .. إنه لا يستحق أبداً لحظة حزن واحدة .. لا يستحق دمعة تنساب من عينيك فليست الخيانة هى أسوأ ما فيه .. إن شخصيته تخفى أشياء كثيرة أكبر بكثير من الخيانة .

قالت : ولكننى أحببته وهذا ما يؤلمنى ..

قلت : لا تندمى على لحظة حب واحدة حتى ولو كانت نهايتها الألم .. لقد كان حصاد رحلته معك الخيانة .. وكان حصاد رحلتك معه الحب .. ولن يتساوى أبداً من حصد الحب مع من ارتكب الخيانة..

إذا كان الحب يؤلمنا أحياناً فهو يطهرنا فى كل الأحيان .. وإذا

أخذ منا شيئاً فهو يعطينا أشياء .. إنه يشعرنا بقدرتنا على تجاوز المرئى والمحسوس إلى أشياء أعمق وأبعد وأنيل .

إننى لا أندم على لحظة صدق عشتها مع إنسان أحببته حتى ولو خاننى ، فالحب لى .. والخيانة له .. ولى ما أردت .. وله ما أراد .. لأننى لا أستطيع إلا أن أكون صادقاً ، كما أننى غير قادر على أن أمارس الخيانة لأنها إحساس مهين ..

لا أندم أبداً لأننى أعطيت قلبى ولو كان فى غير مكانه ، لأن من حقى أن أختار أن أحب ، ولكننى لا أستطيع أن أضمن إخلاص من أحببت .. أختار بداية الأشياء وليس بمقدورى أن أعرف نهايتها .. نستطيع أن نبدأ الطريق ولكننا لا نعرف إلى أين يمضى بنا هذا الطريق.

قالت : ولكنك تطلب منى أن أتسامح .. وأنا لا أستطيع ذلك..

قلت : لا أطلب منك التسامح .. رغم إيمانى الشديد بأنه أرقى سلوكيات البشر .. لكننى مشفق عليك من ظلال ماضيك المؤلم.. فالندم يشعرنا بالنقص .. وقد يشعرنا بالرغبة فى الانتقام .. وقد يحمل لنا مشاعر الضعف والمهانة .. وأنا لا أريد لك شيئاً من هذا . لا تتركى الماضى يحتل أجزاء كثيرة فى نفسك .. لأن الندم يولد المرارة.. والمرارة هى الأب الشرعى للإحباط ، والإحباط يشعرنا بالكآبة .. والكآبة أسوأ أنواع الحزن.

قالت : وكيف أتخلص من مشاعر كراهيتى ؟!

قلت : النفوس الكبيرة لا تحمل أبداً بقايا الأشياء القبيحة .. والندم والكراهية والسخط مشاعر تأخذ مساحة كبيرة فى نفوسنا فلا تترك لنا مكاناً للأشياء النبيلة ..

يتراكم القبح داخلنا .. فيحجب كل الأضواء الجميلة التى يمكن أن تتسرب داخلنا .. وقد يجىء ضيف جديد وتتراجع خطواته أمام زحام تذكاراتنا المهشمة وأيامنا التى أصابها الذبول .

إننى واحد من الذين يحتفظون أحياناً بأشيائهم القديمة .. وخاصة تلك الأشياء التى ارتبطت بذكريات عزيزة فى حياتى ، ولكننى لا أحب أن أملأ حياتى « بكراكيب » الماضى ، وخاصة إذا كان مؤلماً .. أو لا يستحق البقاء . إننى أفضل أن أجمع الأشياء العزيزة فى مكان بعيد بقلبى وأغلقه عليها ، ثم أفتح قلبى ،، لكى ينساب فيه ضوء الشمس والحياة بدلاً من أن أقضى الليالى وأنا أسامر الخفافيش ..

إننى لا أحب أن أفسد يومى بذكريات أمس كئيب ، ومن الظلم أن تضيع فرحة يوم فى يدى من أجل أمس لم أعد أملك منه شيئاً .

قالت : وبماذا تنصحنى ؟

قلت : من خانك لا يستحق منك كل هذا الحزن .. لا تتركى قلبك الصغير يقع فريسة ماضيك المؤلم .. إن الشمس لا تدخل من النوافذ المغلقة والضوء هو الشىء الوحيد الذى سيجتاح ظلمات قلبك الصغير .. فافتحى قلبك يا صغيرتى لأشعة الشمس حتى تهرب الخفافيش .

الحب الأول

قالت : كنت أتمنى أن أكون حبك الأول ..

قلت : وأنا أتمنى أن تكونى حبى الأخير ..

قالت : الحب الأول يعيش عمراً طويلاً .. إنه يبقى فى داخلنا سنوات وسنوات . إنه رحلة عمر كاملة . يشبه النقوش التى نرسمها على وجه جدار أبيض ، لم تتزاحم عليه أحداث الزمن ورسومات الحياة . إننى أخشى أن أكون من بين تلك الأشياء الكثيرة ، التى رسمتها الأيام على صفحة حياتك ، ولم تعد تذكر منها شيئاً ، لأنها تداخلت وزاد عددها ، فلم تعد تفرق بين القديم منها والجديد ، بين ما يستحق أن يبقى ، وما ينبغى أن تنساه .

قلت : فى الحب الأول ليس لنا اختيار ، وفى الحب الأخير نكون قد وصلنا إلى قمة النضج ، وعرفنا الحياة أكثر ، وأصبحت قدرتنا على الاختيار أعمق وأكمل وأوسع . نجىء إلى الحب الأول من غير تجارب وهو يعلمنا ، لأننا لم نكن قد رأينا أحداً قبله ، ولهذا نغرق فيه ،

ونتصور أنه نهاية الحياة ، ولا شواطئ بعده ، وفى الحب الأخير نكون قد عرفنا كل الأشياء ، واخترنا من بينها ما نحب ، ومن لا نحب .

فى الحب الأول نكون فى أول الطريق ، فنعرف أن أمامنا الكثير، وأن هناك متسعا فى العمر والحياة ، وأن الذى ضاع يمكن أن نعوضه ، وأن من سافر يمكن أن يعود ، وأن ما سقط من بين أيدينا يمكن أن نجمعه مرة أخرى .

وفى الحب الأخير لا توجد أمامنا فرص كثيرة لكى نعوض ما ضاع ، لأن ما بقى أقل مما مضى ، ولأن خسائرنا لن تجد العمر الذى نعوضها فيه . إنه يشبه قطار آخر الليل ، ليس أمامنا غير أن نلحق به، لأننا قد ننتظر طويلاً حتى يأتى قطار آخر ، يجىء أولا يجىء .

قالت : أتمنى أن أحب مرة واحدة . أريد إنساناً أحبه فى أول حياتى ، ولا أحب أحداً بعده ، أقضى معه عمرى كله . لا أحب أن أتخيل نفسى أتنقل من شخص لآخر ، إن ذلك يفقدنى كثيراً من إنسانيتى. أريد رجلاً واحداً يكفينى عن كل رجال العالم ، أعطيه عمرى وحياتى .

قلت : وأنا مثلك لا أتمنى غير امرأة واحدة أبدأ حياتى معها ، وتحتوينى أحلاماً وعمراً ، ولكننى أتحدث عن هؤلاء الذين يسقط منهم حبهم الأول ، وتفرض الأيام عليهم أن يمضى كل منهما فى طريق ، ثم يتصورون أن الحياة قد انتهت ، وأنه لا حب بعد هذا. ويرى هؤلاء أن الإنسان يحب فى حياته مرة واحدة ، ولن تتكرر . ويقف كل واحد منهم

على شطآن الذكرى يغنى للزمن الراحل ، والحبيب الذى لن يعود .. وأنا لا أوافق على هذا أبداً. إذا كانت الأقدار قد أرادت نهاية قصة حب ، فليس معنى هذا أن كل المشاعر قد ماتت، وأن الزمان قد توقف . لابد أن ينظر الإنسان إلى حياته ، وألا يتوقف به الزمن عند لحظة لن تعود ، وعمر لا يملك الحق فى استرداده . فهل يقضى حياته وأيامه متحسراً على الماضى ، ويغلق كل أبواب عمره ؟ أم يحاول أن يفتح قلبه للحياة، فقد يجد إنساناً آخر يشاركه رحلته وعمره وأمانيه ؟.

أنا لا أحب البكاء على الأطلال ، وخاصة إذا كان البكاء لن يعيد حبيباً رحل ، ولن يمد جسوراً سقطت . وليس معنى ذلك أن أنتزع ذكريات عمرى وألقيها بعيداً ، ولكن من الخطأ أن أعيش حبيس هذه الذكريات ، فلا أرى حولى غيرها ، ولا أحاول أن أخرج من هذا القفص الذى سجنت فيه . إننى أحب ذكرياتى ، ولكن لا ينبغى أن أجعل منها قيداً على مستقبلى . لقد كانت شيئاً عزيزاً فى الأمس ، ومن الظلم أن تكون ستاراً وقيداً على الغد ، وخاصة إذا كان كل واحد منا قد مضى فى طريق ، وأصبح من الواجب عليه أن يختار حياته ورفيق عمره . وإذا كانت الأيام قد فرقت بيننا ، فلا ينبغى أن نمشى ووجوهنا تنظر للوراء .

من حق الإنسان أن يذكر حبه الأول فى أغنية جميلة يستعيدها، أو مكان فيه ذكرى . لكن من الخطأ أن أقف فى مكانى والحياة حولى تجرى .

قالت : أنا أموت فداء إنسان أحببته ، وأعيش حياتى كلها مخلصة له ، حتى لو فرقتنا الأيام .

قلت : أنا مثلك أقدس الوفاء ، ولكننى لا أقبل الخيانة .

قالت : ماذا تقصد بالخيانة ؟

قلت : أن تتزوجى رجلاً وقلبك مع رجل آخر ، أن يكون للزوج الجسد وللحبيب القلب . هذا أسوأ أنواع الخيانة .

قالت : أنا لا أقبل أن أتزوج إنساناً وقلبى مع إنسان آخر .

قلت : من أجل لابد أن نغلق بعض الصفحات فى دفاتر أيامنا ، إذا كنا نريد أن نفتح صفحة جديدة .

قالت : لا أريد غير صفحة واحدة ، أكتبها وأحفظها ، وأعيش عليها .

قلت : وماذا تفعلين لو وجدت حبك الأول زوجاً لامرأة أخرى ؟

قالت : إنه رجل ، وليس للرجل قلب واحد .

قلت : إن للرجل قلباً واحداً ، لكن له أكثر من عقل . وأنت تحملين فقط قلباً واحداً .

قالت : الفرق بينى وبينك هو أنك تريد زواجاً ، وأنا أريد حباً .

قلت : هذا موضوع آخر ، سوف نناقشه فى حديث قادم .

قالت : لم تقل لى ماذا تفضل أن أكون ؟ حبك الأول ؟ أم حبك الأخير ؟ .

قلت : المهم فى هذا الزمن هو أن تظل لدينا القدرة على أن نحب. إن الحب من أندر العملات ، وأقلها الآن تداولاً ، يكفينى أننى أحبك الآن ، سواء كنت الأولى ، أم الأخيرة .

امرأة أخرى .. بيننا

كنت أدندن أغنية عبد الحليم الجميلة .. فى يوم .. فى شهر .. فى سنة .. تهدا الجراح وتنام .. وعمر جرحى أنا .. أطول من الأيام ..

قالت : بينى وبينك امرأة أخرى لا أعرفها .. ولم تشاهدها عينى.. ولم ألمح طيفها يوماً .. ولكننى فى أحيان كثيرة أشعر بها تقف بيننا .. أراها فى عينيك .. وأسمعها فى صوتك .. وأرى ملامحها فى هذا الحزن العميق الذى يسكن ملامح وجهك .. مهما حاولت أن تضحك فإننى أراها فى حزنك العنيد الذى يغتال لحظات سعادتنا ويجعلنى أشعر أنك مازلت تحبها وأننى مجرد قصة عابرة ستطويها يوماً .. إنها مازلت تسكن أعماقك ..

قلت : المرأة لا يسقطها من عرشها إلا امرأة أخرى ، والحب لا يقتله إلا حب آخر .. أسوأ الأشياء أن تطمئن المرأة تماماً إلى أنها ملكت قلب من تحب .. وأنه أصبح فى يدها .. وأن يتصور الرجل أنه اشترى إحساس المرأة مثل كل مقتنيات البيت .. ليس فى الحب امتلاك.. إن

الرجل لا يسقطه من قلب حبيبته إلا رجل آخر يتسلل أمام الإهمال والسلبية وعدم الشعور بالأمان ، إن الحب معادلة صعبة فليست فيه ممالك بالوراثة .. وليس فيه حكام يسطوة السلاح أو القوانين سيئة السمعة .. وليس فى الحب أوطان نملكها بعقود تمليك نسجلها فى الشهر العقارى .. وهذا هو الفرق بين الحب والزواج ، فى الزواج تمتلكنا ورقة من المأذون .. ويرثنا أبناء نجىء بهم إلى الحياة .. ولا نستطيع أن نلغى ملكية شىء سجلناه فى الشهر العقارى .. الزواج طريق واحد لا رجعة منه . إنه يشعرنا أن كل الأشياء قد استقرت على ما هى عليه .. وأن المؤسسة التى أنشأناها غير قابلة للتصفية .. إنه يشبه شركات الدولة تحميها وإن خسرت .. وتدعمها وإن أفلست .. ولهذا فإن الصورة الاجتماعية وقوانين العائلة .. ونظرة المجتمع هى التى تضع أساس الزواج .. إنه استقرار تحكمه عوامل كثيرة ليست كلها فى أيدينا .. ولهذا يتزوج الرجل مرة واحدة يفقد فيها كل إرادته .. وإذا فكر أو حاول أن يتزوج مرة أخرى فلن يستطيع لأنه لو وجد الرغبة فلن يجد الإرادة .

وفى الحب نحن مطالبون كل يوم بأن نقدم أوراق اعتماد جديدة. إن حساسية الحب شديدة للغاية .. إنه مثل النباتات الصغيرة الجميلة يتغير لونها إذا لفحتها الشمس .. وتضعف أغصانها إذا عبثت بها نسمة حائرة .

ولهذا من السهل أن نحافظ على الزواج ، لكن الصعب أن نحافظ على مشاعر الحب فيه .. إن الحب يحتاج إلى رعاية يومية لأنه عمارة ضخمة نبنيها فوق الرياح ، ولا نستطيع أن نمسك بها إذا طارت .. إنه

يشبه أمواج البحر لا نعرف أبداً على أى شاطئ تستقر ، وفى أى مكان فى الدنيا سوف تلقى رحالها ..

إن الحب فى عمق البحر واتساع الكون .. وشمولية الحياة .. ولكننا لا نرى فيه بحراً .. ولا نعرف حدود هذا الكون .. لأن كل شىء داخلنا نحن .. إنه مؤسسة ضخمة بلا موظفين ..

والمحبون لا يعرفون للحب موعداً .. ولا يعرفون له عمراً ، فهو من أكثر الأشياء تعرضاً لتغيرات الجو ، وقد يصاب بالإنفلونزا ، وقد تمر عليه حالات اكتئاب حادة ، وقد يموت بالسكتة القلبية ، وقد يقف شامخاً معافى ضد كل متغيرات الحياة ، تمضى عليه العواصف .. وتتوافد عليه الفصول وهو لا يتأثر بشىء ..

الحب حاكم غير متوج وليس له سلطان ، ولكننا نطيع أوامره .. وليست له جيوش تحميه .. ولكنه قادر على حماية نفسه .. وليس له أوطان .. ولكن قلوبنا تتسع له فى أى زمان ومكان .

قالت : هل يمكن أن يعيش الإنسان أكثر من تجربة حب ؟.

قلت : هذه حظوظ .. هناك رجل يعيش قصة حب واحدة يعطيها عمره .. وهناك رجل أخذته امرأة من يد امرأة أخرى .

قالت : إن هذا ليس حباً ..

قلت : الحب مثل كل الأشياء له درجات .. وتختلف مساحة الإحساس فيه .. إنه يختلف طبقاً لمعادن البشر .. هناك حب عميق .. وحب عادى .. وحب أقل من العادى ..

والحب يختلف باختلاف درجات الإحساس عند الناس .. والناس معادن .. فى الذهب أنواع كثيرة .. والماس تختلف درجات النقاء فيه.. وهناك من يحب إلى آخر نقطة دم في شرايينه .. وهناك من يحب بجلده .. ولهذا فإن الحب ابن شرعى للإنسان .. الناس هم الذين يصنعون الحب حسب درجات إحساسهم ..

قالت : ولماذا يموت الحب بعد الزواج .. إن كثيراً من الأزواج والزوجات يفتقدون المشاعر المتوهجة التى كانوا يشعرون بها فى فترات الخطوبة ، فهل صحيح أن الزواج يقتل الحب ؟ ! .

قلت : الزواج لا يقتل الحب ، ولكن أسوأ مافى الزواج أن يشعر كل طرف أنه امتلك الآخر .. والحب لا يقبل مبدأ الملكية .. لأن أجمل مافيه الاختيار .. وهنا يزداد الصراع بين ملكية الزواج .. واختيار الحب

قالت : مازلت أشعر أن هناك امرأة أخرى كانت قبلى .. ومازالت بيننا ..

قلت : الآن دخلت بأفكارك فى منطقة الامتلاك .. إنك لا تريدين امتلاك الحاضر وحده .. ولكنك تريدين مصادرة أيامى الماضية التى لم أكن أعرفك فيها .. وهذه بداية النهاية لكل حب كبير .

ما الذى يفسِد الناس ؟

قالت : ما الذى يفسد الناس ؟

قلت : أشياء كثيرة تفسدهم . حينما يزداد الفقر .. تباع الذمم وتسقط الضمائر .. وحينما يصبح الأقزام عمالقة تغيب القدوة وتختفى لغة القيمة ، ويصبح الشريف غريباً والنصّاب والأفّاق والدجّال هم أصحاب البيت .

قالت : ولكن ماهى أسوأ الأشياء التى تفسد الإنسان ؟

قلت : إذا اجتمع المال مع الجهل .. يسقط الضمير .. ويغيب العقل.. وتظهر السطوة .. وهذه المعادلة أسوأ ما يعرض المجتمعات للفساد . فالمال فى المجتمعات الراقية وسيلة لبناء إنسان أفضل وأكمل.. ولكن المال مع الجهل أكبر أدوات التخريب الإنسانى فى زماننا .

إننا مازلنا نذكر الأغنياء الذين حافظوا على قدسية الفن عبر العصور المختلفة فى التاريخ القديم والحديث ..

فى ظل بيتهوفن وشوبان وموزار وعشرات من الفنانين العظام .

وفى بيـوت الأغنيـا ء كنت ترى البـيـانو واللوحـة .. والصـالون الأدبى والمكتبة الضـخمة .. وكانوا عشاقاً للفن .. ومحبين للحياة .. وعارفين بقيمة الجمال .

وفى مصر كنا نجد العائلات الغنية حارسة لقيم الثقافة والمعرفة والفن .. كانت الثقافة مرتبطة بالعائلات الغنية .. وإذا لم يكن الارتباط عن حب فقد كان ادعاء .. وهو فى رأيى ادعاء جميل .. لأننى أحترم إنساناً يدعى الجمال حتى ولو كان قبيحاً ، لأن ذلك يعنى أنه يدرك فى أعماقه قيمة الجمال .

وحتى الشعراء الكبار فى العصور القديمة نشأوا فى أحضان أثرياء عصـورهم .. ولكن أثرياء الزمن الذى نعـيش فـيـه يسـرقـون الشعراء مالاً .. وفناً ..

كان أثرياء الماضى على علم وثقافة وتربية وأخلاق .. أما معظم أثرياء هذا الزمن فلا علم ولا أخلاق .. ولا تربية .

ومن هنا اجتمع المال مع الجهل فقدم لنا ابناً لقيطاً قبيحاً اسمه التخلف ..وهو الآن يرتع ويجرى فى كل البلدان العربية بلا استثناء . والسبب فى ذلك يرجع إلى أن معظم أثرياء هذا العصر جمعوا أموالهم من صفقات مشبوهة أقلهم أخطاء جمعها من عمليات النصب والتهليب وسرقة أموال الشعوب .. وأكثرهم خطايا جمعها من تجارة المخدرات وسمسرة السلاح .

ولهـذا تكدست الأموال على جثث الأبرياء .. ودماء الأطفال .. ودموع الأرامل .

وأسوأ مافى المال الجاهل أنه يمثل السطوة الغاشمة .. والقوة الغبية فلا يعرف الرحمة ابتداء بالأساليب .. وانتهاء بالنتائج .

وأكثر الأشياء رواجاً فى أسواق المال الجاهل شراء النساء .. ولهذا لن تجد غنياً جاهلاً يشترى لوحة أو كتاباً .. وإذا اشترى اللوحات فإنه يشتريها بهدف الاستثمار فيضعها فى المخازن حتى يرتفع سعرها.

وحينما اجتمع المال والجهل سادت هذه النماذج القبيحة التى تملأ حياتنا . وبدلاً من أن يشارك هذا المال فى توفير المناخ الراقى لظهور الفنون الجميلة شارك هذا المال فى إفساد أذواق الناس وتخريب مشاعرهم. ولهذا انطلق المال الجاهل وراء أسواق الفن الهابط يدفع فيها بمئات الملايين .

وتحول المال فى يد الجهلاء إلى أسوأ مؤامرة شهدها الوجدان العربى فى هذا العصر لتخريب كل ماهو نقى وجميل فيه .

واندفعت عشرات الشركات والمؤسسات فى سوق الإنتاج الفنى الجاهل .. وأعلن قيام اتحاد الفن الجاهل .. والمال الجاهل فى أكبر صفقة تجارية فنية فى العصر الحديث لإفساد أذواق ٢٠٠ مليون عربى. وفشلت جميع الاتحادات السياسية ونجح هذا الاتحاد .

قالت : نحن الذين شجعنا ظهور مثل هذه النماذج الساقطة ..

قلت : الشيء المؤلم أن المناخ العام ساعدهم على القيام بدورهم كاملاً.. لقد ازداد حجم الأموال بصورة مجنونة .. ولم يترك الطوفان المادى للناس وقتاً للتفكير .. فسقطت ضمائر كثيرة .. ومواهب أكثر.. سقطت أسماء ما كنت أتخيل أن يصيبها الرذاذ .. فاكتسحتها الأمواج وضاع عشرات الفنانين الواعدين .

لقد كان المزاد عنيفاً ومخيفاً وحاداً .. ولم يبق أمام طوفانه غير قلة قليلة تحاول أن تؤكد للمال الجاهل .. والفن الجاهل ، أن هناك أشياء كثيرة غير قابلة للبيع .

ولا أدرى هل سيطول عصر المال الجاهل ؟.

أتمنى ألا يطول أكثر من هذا ..

الوفاء .. هذا الضيف الغريب

قالت : لماذ أصبح الوفاء ضيفاً غريباً فى زماننا .. قليلاً ما نسمع الآن عن قصة وفاء تهز القلوب وتحرك المشاعر وتعيد لنا الثقة فى الحياة والأشياء والبشر ..

كل ما نسمعه الآن قصص عن نماذج قبيحة من الناس .. كأن العالم تحول إلى غابة كبيرة .. القوى ينتهك الضعيف .. والقادر يعبث بقدرات العاجز ، وأصبح الوفاء عملة غريبة لا نجدها فى سوق المعاملات الإنسانية ، فهل أصبح الوفاء عبئاً ثقيلاً لا يقدر الناس عليه؟ أم أن القيم جميعها تراجعت ؟

قلت : فى كل الأزمنة والعصور كان الوفاء ضيفاً عزيزاً .

فالجلادون كانوا أكثر ممن أقاموا العدل .

والأفاقون كانوا أكثر تأثيراً من أصحاب الفضائل .

واللصوص كانوا دائماً أعلى صوتاً من الشرفاء ..

وبيوت الفضيلة كانت أقل إغراء من بيوت الرذيلة ..

لم تكن الأشجار يوماً فى عدد الحشائش .. كانت الحشائش هى الأكثر انتشاراً .. وهذا هو الفرق بين أشجار تعطى الثمار والظلال وترتفع قامتها للسماء والحشائش التى تسكنها العقارب وتدوسها الأقدام .. والحشائش تنمو فى كل زمان . وتنبت فى كل أرض .. وتظهر فى كل الفصول ، ولكن الأشجار لها مواعيدها .. ولها التربة التى تتناسب معها ، والرعاية التى تحتاجها .. والثمار التى تعطيها ..

والوفاء هو الأشجار العريقة .. والحشائش هى كل أنواع الخداع والغش والخيانة ..

والوفاء هو الصورة المثلى للحياة والأشياء والبشر .. الوفاء قمة الجبل ، والقمة عادة لا تتسع للناس جميعاً ، إنها تفتح ذراعيها لهواة الفضيلة وأصحاب المبادئ ودعاة الأخلاق .. أما السفوح فإنها تجمع الملايين يتزاحمون فوق حشائشها .. وتبقى قمم السلوك والأخلاق لمن يستحقها .

قد يبدو الوفاء فى زماننا غريباً فى سوق اللصوص والمرابين والأفاقين وتجار الرذيلة ، ولكنه كنز مستور قد نجده فى حجرة صغيرة تؤنسها شمعة .. وقد نجده جالساً مسترخياً فى أعماق إنسان بسيط على رصيف شارع .. وقد نجده فى ضمير أرملة وقفت فى وجه إغراءات الزمن تربى أيتاماً وتخلص لذكرى رجل لن تراه .. وقد نجده فى أعماق شاب باع كنوز الدنيا واختار من أحب .. وفى عيون فتاة واجهت طوفان العالم ولم تفرط فى مشاعرها .

لم تزل بيننا ليلى .. ولم يزل بيننا ألف مجنون بحبها .. أخلص في زمن لا يعرف الإخلاص .. وأعطى رغم أن كل شيء حوله لا يعرف قيمة العطاء .. إن مشكلة إنسان هذا العصر أنه لم يعد يرى الأشياء حوله .. إنه يشاهد أضواء التليفزيون والفيديو .. ونسى ضوء القمر ..

اسأل نفسك عن آخر مرة شاهدت فيها القمر .. وسمعت معه أغنية أم كلثوم الجميلة « هلت ليالى القمر » ..

اسأل نفسك عن آخر مرة رأيت فيها طفلة تبكى على الرصيف ووقفت بسيارتك الفارهة وأخذت بيدها لتعبر الطريق ..

اسأل نفسك عن آخر مرة دمعت فيها عيناك لأنك ظلمت إنساناً.. أو سلبت من إنسان حقاً ..

اسأل نفسك عن آخر مرة راجعت بها كشف حسابك مع الناس ومع الله .. سرقت من ؟ وظلمت من ؟ وتجنيت على من ؟.

مازال الجمال بيننا ولكننا فقدنا القدرة على أن نراه .

مازالت الرحمة بيننا وإن كانت ضيفاً عزيزاً لا يزور إلا من يعرفون قيمته .

ومازال الوفاء يسكن كثيراً من القلوب التى تعرف قدره .

إن اللافتات المزيفة لم تستطع أبداً أن تغرى أصحاب القلوب الكبيرة . ولو نزلنا قليلاً إلى شارع الحياة فسوف نجد فقراء ينقصهم المال وتغرقهم المشاعر .. ملابسهم تنقصها الأناقة .. ويزينها الترفع .. وجوههم تنقصها المساحيق ويجملها الصدق ..

مازال الوفاء يحدق فى عيون كثيرة تبيع عمرها من أجل لحظة صدق .

لا تسافر .. أوطاننا أولى بنا

قال : أريد أن أهاجر ..

أشعر أنه لا مستقبل لى فى هذا البلد .. أصبحت غريباً فيه .. أشعر أننى شجرة زرعت فى غير أرضها .. وظهرت فى غير زمانها .. وجاءت فى غير أوانها ..

إذا تحدثت عن الحلم ضحك الجالسون حولى كأن الأحلام أصبحت غريبة فى هذا الزمان .. وقالوا : إننى رجل مجنون يعيش فى عالم الأوهام .. إنهم يسمون الأحلام أوهاماً .. رغم أن الحلم حق مشروع لكل إنسان .. إنه مثل الماء والهواء ..

إذا تحدثت عن المستقبل قالوا لك : .. لم يبق شىء لكى تراهن عليه .. كل الأشياء ضاعت .. وكل الرموز سقطت .. وكل القيم هاجرت

إذا تحدثت عن العمل قالوا لك : سوف تنضم إلى طوابير العاطلين فى سوق الحياة ..

وإذا تحدثت عن العدل والحق والخير قالوا لك : هذه أشياء ليس هذا زمانها .. إنها سلعة غريبة .. ولغة لا يفهمها الناس فى هذا الزمن..

لم يعد أمامى غير طريق واحد .. أن أسافر .. سوف أجمع المال.. وحينما أعود بالمال فسوف أعود بالقوة .. أشترى ما أريد وأتزوج من أريد ، ويحترمنى الكبير والصغير .. والوزير والغفير .. فالكل يركع أمام سطوة المال مهما كان قدره ومهما كانت مكانته .

إذا كان معك المال فأنت فى العين .. يسمعك الناس إذا نطقت.. ويحترمك الناس إذا ظهرت .. وأنت فوق رءوسهم مادام القرش فى جيبك

قلت : من السهل جداً أن ينسحب الإنسان من المواجهة .. ويترك الفئران تعبث فى الحدائق .. تأكل ثمارها .. وتستبيح أوراقها .. وتمتهن جمالها .

من السهل أن أجمع أيامى وأرحل فى أول قطار .. من السهل جداً أن تجمع أسلحتك وتنسحب .. وهذا هو الإنسان العادى ، يفضل الهروب دائماً .. ولكن الأنواع القوية من البشر هى التى تقلب موازين الأشياء.. هى التى تغرس جذورها فى الأرض أكثر كلما زادت حولها العواصف .. إنها تصارع الرياح وتتصدى لها وترفض أن ترفع الراية أمام جيوش الفئران ..

من السهل أن تسافر .. وتجمع المال .. وتشترى الشقة والسيارة.. ولكنك سوف تخسر أشياء كثيرة ..

سوف تعود لتكتشف أن الحياة صارت أسوأ مما كانت .. وأن أسراب العصافير قد هاجرت .. وأن رقاب الأشجار قطعت .. ومساحة الصحراء زادت .. وأن الفئران كبرت وتضخمت وصارت وحوشاً كاسرة.. سوف تدرك بعد أن تعود أن السعادة ليست عملاً فردياً .. ولكن السعادة عمل جماعى .. لن تستطيع أن تغرس شجرة فرح واحدة فى مستنقع الكآبة ..

لن تكون سعيداً إذا بنيت قصراً وسط الخرائب .. سوف تسمع حولك صراخ الجائعين .. وأحزان الضائعين .. وشقاء الحيارى المتعبين.. وسترى نفسك غريباً .. ومهما ارتفعت حول قصرك الجدران فإن الفئران سوف تهدد راحتك وتستبيح آدميتك .

قال : أنت تتحدث عن قيم وأخلاقيات ليس هذا زمانها .. بالمال أشترى كل شىء .

قلت : من الخطأ أن تتصور أن كل شىء قابل للشراء .. أنت تتحدث هنا بلغة أصحاب الصفقات وقراصنة المال ، ولا تتحدث بلغة أصحاب القلوب والعقول والمشاعر .. قد تشترى بعض الناس بأموالك من جماعات المنتفعين والأفاقين والمضللين .. تسهر معهم .. ويتغنون بأخلاقك وفضائلك ومروءتك .. وبعد أن ينفض السامر تتدفق على ذاتك الكريمة مئات اللعنات .

الحب منطقة من المناطق التى لا تباع .. والذين تراهم حولك من سماسرة المشاعر لا يعرفون الحب الحقيقى .. إنهم يبيعون لكل من

يملك.. وهم جاهزون ببضاعتهم لكل قادم جديد . المال لا يغنى عن القناعة.. ولن تكفيك أموال الدنيا إذا لم تعرف شيئاً اسمه الرضا ..

وليس معنى ذلك أننى أطالبك بالزهد والاستسلام .. ولكننى أطالبك بالصمود والترفع .. أن تقف معى أمام جيوش الفئران ..

سوف تسافر وتجمع المال .. ويسافر غيرك ويجمع المال .. ويتصور الناس أن الحياة كلها رصيد يملكه الإنسان فى بنك .. وتختل معايير الأشياء ، ويتصور كل إنسان أنه ملك العالم بأمواله .. وكلما زاد حجم أرصدتنا فى البنوك زاد حجم الخرائب فى نفوسنا .. نحب المال ونكره الناس .. ونحب كتل الأسمنت وننسى كتل المشاعر .. ونسكن القصور ونشعر أنها خرائب ..

ما قيمة قصر بارد لا دفء فيه ولا حنان ولا أمان ولا إحساس.. ما قيمة سرير من الحرير لا يزوره النوم ولاتعرفه الراحة ولا يزوره الحب.. لا يمكن أن تكون هذه البورصة الكبيرة هى نفس الحياة التى خلقها الله للإنسان لكى يعرف الحب .. ويعشق الجمال .. ويغنى للفضيلة .. سوف تسافر أنت .. وأسافر أنا .. وينسحب الشرفاء من الميدان تاركين الحدائق لأسراب الجراد والفئران .. وهذ أكبر الخطايا ، عش فى وطنك واشرب ماءه ولو كان فيه بعض الطين .. واعشق هواءه ولو كان فيه بعض التراب ، فإما أن نعيده شامخاً مرة أخرى .. وإما أن نموت تحت أنقاضه .. ومن العار أن نتركه للفئران .

أوطاننا أولى بنا .. ونحن أولى بها .. حتى ولو كانت بخيلة..

أعرف قلبى .. عندما ما يحب

قالت : قررت أن أقتحم جسورك ، أن أدمر تحصيناتك ، وأن أحتل كل جزء فيك .

قررت أن أرسل جيوشى ، بكل ما لديها من قوات بحرية وجوية وبرية ؛ لكى تستعمر قلبك .

أعرف أنه قلب شاعر ، وأن المقاومة ستكون ضارية وعنيفة ، وأن المعركة ستكون غاية فى الصعوبة ، ولكننى لن أتنازل عن اقتحامك، ولن أتخلى عن احتلال أراضيك . أنت شاعر ، وأنا أكثر امرأة تفهم قلوب الشعراء . إن هذا إنذار ببداية المعركة ، ولقد أخبرتك بذلك ، حتى لا تتصور أننى أفتقد روح الفرسان فى معاركى ، فأهبط بجيوشى فى غفلة منك . إن الفرسان النبلاء لا يغمدون الخناجر فى الظهر أبداً . إنهم يحبون المعارك الواضحة والمكشوفة أمام الجميع .

ولهذا فأنا قررت أن أحتل أراضيك ، وأستعمرك شبراً شبراً .

قلت : ولماذا بدأت بإعلان الحرب ؟ إننى أعلم أن قواتك أضخم

وأكبر من قواتى ، وأن جيوشك التى لا أرى حدوداً لها ، أكبر بكثير من تحصينات عمرى المتواضعة .

تقولين إننى أحمل قلب شاعر ، وأن المعركة ستكون فى غاية الشراسة . وأنا أقول لك : إننى شاعر من هؤلاء الشعراء الذين أرهقهم الزمن ، وأتعبتهم الأحلام ، إننى من بقية هؤلاء البشر الذين انقرضوا من هذا العالم . إذا أحببت فإننى أحب بكل قطرة دم تسرى فى عروقى، وأنا أمشى فى الأرض ، وأحمل هموم الكون على رأسى ، وأنا واحد من هؤلاء الذين إذا أحبوا أعطوا كل شىء ، وإذا لم يحبوا لا يعطون أى شىء .

هناك شاعر تسعده ملايين المعجبات حوله ، ويتباهى بذلك ، وهناك شاعر يرى العالم كله فى عيون امرأة واحدة يحبها ، وأنا من هذا النوع الأخير ، أنسى العالم كله من أجل امرأة واحدة ينبض لها قلبى ، وترتاح معها نفسى ، وتطمئن لها روحى .

أنا لا أحب المزارع الشاسعة ، التى لا أعرف حدودها ، وأتوه فى غاباتها ، ولكننى أحب الحديقة الصغيرة التى أزرعها على عينى ، أعرف كل غصن فيها ، وأسافر فى كل جزء منها ، وأسمع نبضات أزهارها ، وأنفاس عطرها ، وأتابع كل خفقة فى أعماق جذورها .

أرويها بعمرى دماً ودموعاً وأملاً ، وأجلس من بعيد أراقب أوراقها تكبر ، وأغصانها تعلو ، وعبيرها يملأ السماء .

أنا لا أحب أن أملك ناطحة سحاب ضخمة ، ولكننى أحب أن أملك بيتاً صغيراً آمناً ، أشعر فيه بآدميتى .

أنا واحد من هؤلاء الذين يؤمنون بقدرة الإحساس الصادق ، أكثر ممن يؤمنون بقدرة الصراخ ، أنا لا أريد عطراً فجاً صارخاً يملأ المكان ، ويجمع الناس حوله ، ثم يتلاشى بعد لحظات ، ولكننى أريد عطراً هادئاً عميقاً ، يتسلل فى دمى ويسكن فيه .

لا أريد معركة ضخمة تترك وراءها الدماء والشهداء والضحايا ، ولكننى أريد استسلاماً كريماً ، نرفع فيه رايات الحب ، ونلقى أسلحة الادعاء ، ننصب فيه سلطان الصدق ، ونسقط كل رموز الزيف ، وبعد ذلك نترك قواتنا تتفاهم مع بعضها البعض بدون معارك ، أو عواصف ، أو رعود .

إننى أريد احتلالاً سلمياً ، وأنت تريدين احتلالاً بقوة السلاح ، إننى أريد استعماراً نتفق عليه ، وأنت تريدين استعماراً تسقط فيه إرادتنا . أريد وصاية مشروعة ، وقواعد عسكرية بدون إيجار أو تنازلات ، وأنت تريدين احتلالاً صارماً عنيفاً ، يكتسح المعاقل والحدود .

قالت : إننى امرأة متمردة ، ومجنونة إلى أبعد الحدود . أريد عالماً أقتحمه ، وأشعر عند نهاية المعركة أن الحصون سقطت ، والقلاع توارت .

ثم إننى أخاف من مثل هذه الأساليب الناعمة ، التى تتكلم بها معى ؛ لأن مثل هذا الهدوء المريب قد يخفى أشياء كثيرة ، قد تعلن رفع راياتك واستسلام قواتك ، فألقى أسلحتى وأصدر قراراً بإعفاء جيوشى من الخدمة ، ثم أكتشف بعد ذلك أننى وقعت فى فخ كبير .

إنك تحـارب على طريقـتك ، إنك تتـبع أسلوب الحرب البـاردة ، والدبلوماسية النـاعمـة ، وأنا أخاف من هذه الأسـاليب .. سوف أقتحمك على طريقتى .

قلت : أنا لا أريد حروباً ، ولا معارك بيننا .

قـالت : ولكننى أريد معركة حاسمة ، أريد أن أختبر فروسيتك ونبل أخلاقك ، وأريد قبل هذا أن أتأكد من صدق مشاعرك .

قلت : فـى قلبى كل هذه الأشـيـاء ، إن تحـصينات قلبى أكـبـر مما تتـصـورين ، ومـقـاومـتـه أعنف بكثـيـر مما تتـخـيلين . إن هذا القلب البسيط يحمل كل مشاعر الدنيا ، سوف يغرق جيوشك المتمردة فى بحار من الحب ، فتسقط الجيوش فريقاً فـريقاً ، وتتهـاوى الحصون حصناً بعد حصن .

سوف يحاصر قـواتك من كل الجهـات بفيض مـن الحنان ، فتـستلم القوات وترتفع الرايات .

سوف تجدين فـيه وطناً أكبر من كل الأوطان ، وأمناً لم تجديه فى أى مكان .

سوف تنهـمر على تحصيناتك أمطار الصدق والمشاعـر ؛ فـتذوب الحـصـون ، وتتـحـول إلى أنـهـار مـن العطاء ، تروى عطش أيامـنا ، وصحراء عمرنا .

قالت : ولماذا أعلنت الاستسلام بهذه السرعـة ؟ إننى أرتاب فيك!

قلت : إن الصدق هو جهاز الرادار الوحيد الذى تستخدمه قواتى، والإحساس هو البوصلة الوحيدة التى توجه جيوشى ، وأنا أشعر الآن بأننى أحبك ، وأن حبك ملأ كيانى ، ووضع قواتك فى كل جزء من خريطة حياتى بدون معارك . إنك استعمرت كل جزء فى عمرى بدون اقتحام . ولهذا فضلت من البداية ، أن أعلن استسلامى ؛ لأننى أعرف ماذا يفعل قلبى عندما يحب .

البراءة الكاذبة

قالت : جئت أزورك بعد أن شعرت باشتياق جارف إليك .

قلت : أشكرك على هذا الشعور المزيف .

قالت : كيف تقابلنى بهذه الجفوة ؟

قلت : هناك بعض الناس يظهرون فى المواسم مثل بعض الحشرات والطيور ، فالناموس مثلاً يهجم علينا فى الصيف ، وبعض الطيور الانتهازية تهرب من الثلوج فى بلادها لتبحث عن الدفء فى أى مكان آخر ، فإذا طلعت الشمس بقيت ، وإن جاء الجليد هربت ، وهذه الطيور تتعامل بلغة المصالح التى تسود عالمنا الآن ، إنها تسافر حينما يأتى الصقيع ، ولا يهمها إلى أين تسافر ؟ ولا تعرف مع من تسافر ؟ وإلى أين تتجه ؟ إنها تذكرنى بالقطط الضالة التى تطوف الشوارع والبيوت ، ولا تشعر بقيمة أى مكان ، لأن الأشياء عندها تتساوى ، إن مثل هذه القطط تبحث عن بقايا الطعام سواء كانت هنا أم هناك ، تستطيع أن تنام فى أى جحر ، وأن تلقى نفسها فى أى صندوق قمامة.

وهناك أنواع من البشر تشبه هذه القطط تماماً ، تراها فى كل مكان ، وتقبل عليك إذا احتاجت منك شيئاً ، وتهلل لك إذا كان لها طلب عندك ، وأنا لا أحترم هذه الأنواع من الناس ، ولا أقترب منها أبداً.

إنها تأتى إليك بشوشة مرحة ، عاشقة ، وتتصور من فرط رعايتها واهتمامها أنك ملكت الدنيا ، وفجأة تجد نفسك عارياً فى الطريق أو على محطة الأتوبيس ، والبرد القاتل يحاصرك ، فجأة تجد كل شىء قد انفض من حولك ، وتعود وحيداً حزيناً ، هناك بعض الناس يعيشون الحياة كما يركبون القطار تماماً ، فى القطار يتعارف الناس ، يضحكون ويتحدثون ، وفى أى محطة يسقط شخص أو شخصان ، وفجأة تجد نفسك فى آخر محطة وحيداً ، وتتساءل : أين ذهب رفاق الرحلة وأصدقاء السفر ، ولا تجد حولك غير بقايا السجائر والصحف ، وأصداء الحكايات .

هناك بعض الناس يجرون وراء اللحظة ، أى لحظة ، ولا يهم بعد ذلك مع من تكون . وكيف ستكون ؟ المهم أن تكون هناك لحظة .

وهناك بشر يبحثون عن العمر ، لأن اللحظة عندهم هى العمر ، فلا يفرطون فيها مهما كانت الإغراءات .

أما أصدقاء اللحظة فإنهم يجرون وراء كل متعة ولو كانت زائفة، ويهربون وراء كل حكاية ولو كانت كاذبة ، ويتصادقون مع الجميع ، ويحبون الجميع ، لأنه لا شىء يبقى بداخلهم بعد أن تتصافح الأيدى ،

وتغيب الوجوه ، هؤلاء الناس يعيشون الحياة السريعة التى يتسم بها هذا العصر ، يحبون فى الصباح ، وينسون فى المساء ، وتستطيع أن تجدهم فى أى مكان ، وفى أى وقت . ومن الممكن أيضاً أن تجدهم مع كل من يعطى ، وكل من يمنح ، إنهم مثل الحشرات التى تسعى وراء الطعام فى أى مكان ، فلا تفرق بين علب القمامة ، وبين الوردة النائمة فى أحضان غصن جميل ، وأنا لا أحب أن أمتلك شيئاً مشاعاً أراه فى كل الأيدى ، وأسمعه فى كل الطرق ، وألمحه يجرى فى الظلام مثل الفئران الهاربة .

أنا لا أحب شيئاً تناقلته أيدى الآخرين ، وعبثت به واستباحته ، لا أحب أن أنظر إلى ما فى أيدى الآخرين مهما كانت قيمة ما بأيديهم، وأحب أشيائى مهما كانت قيمتها ضئيلة ، لأننى أشعر أنها أشيائى وحدى .

الأشياء المشاعة لا تحرك خيالى على الإطلاق .

إننى أفضل أن تكون معى دراجة صغيرة أصل بها إلى مشوارى، ولو بعد تعب طويل ، بدلاً من أن أركب أتوبيساً سريعاً يشاركنى فيه مجموعة من النصابين والمرتزقة .

يا سيدتى أنت نصابة كبيرة تظهر فى مواسم الزحام ، وأوقات الأوكازيونات والموالد .. أنت تاجرة مشاعر محترفه تحملين براءة أنثى لعوب ، وأنا لا أصدق أبداً ، هذه البراءة الكاذبة .

وداعاً يا رفيقى ..
جمعنا ماركس .. وفرقنا جورباتشوف

قالت : لابد أن نفترق .. لقد ضاع كل شىء بيننا .. كل الأفكار الجميلة التى التقينا حولها عصفت بها الرياح .. كل أحلام الكادحين التى رسمناها على جدران أيامنا سقطت ، عشرات الكتب التى قرأناها.. والمذكرات التى كتبناها .. والمنشورات التى وزعناها .. كل هذا كان مجرد حبر على ورق .

لابد أن نفترق يا حبيب عقلى ورفيق فكرى .. لقد جمعنا كارل مركس وفرقنا جورباتشوف .. جمعتنا أحلام رأس المال .. وفرقتنا رياح البروسترويكا .. لم يعد بيننا شىء نجتمع عليه .. ولا شىء نختلف عليه ..

اجتمعنا حول أفكار الكادحين والبروليتاريا والجائعين والساقطين.. ووقفنا معاً فى وجه الإمبريالية العالمية نحارب ونقاتل من أجل الشيوعية .. وللأسف الشديد هرب الكادحون منا .. ووجدنا

أنفسنا في خندق واحد مع الإمبريالية التي حاربناها سنوات عمرنا .. ومددنا أيدينا لمن يساوى ومن لا يساوى .

أين أحلام القطاع العام التي رسمتها ريشتك الجميلة على شطآن عقلى .. أين ثورة الكادحين التي سوف تقتلع العالم الرأسمالي من جذوره .

أين الشقة التي وعدتني بها على النيل .. وأين المجتمع الشيوعي الذى نجد فيه كل شيء من الإبرة إلى الصاروخ .. أين يارفيق الفكر السلع الملقاة في الشوارع لا تجد من يشتريها .. وأين السكن والعلاج والمدارس ، أين آلاف الصور التي ضللتني بها وأوقعتني في شباك حبك وأفكارك .. قلت لى أننى سوف أرى باريس في بولاق .. وأشاهد الأوبرا في كفر العسكر .. وأرى أشجار الفاكهة تتراقص في الشوارع وتلقى ثمارها على العابرين ..

قلت لى : كل شيء سيكون ببلاش كده .. وأصبح كل شيء الآن بطلوع الروح .

قلت لى : ستجدين الشقة والسيارة والمأكل والمشرب بأقل الأسعار.. فأين هذا كله .. كيلو الخيار أغلى من الفراولة .. ولا أستطيع أن أشترى الخيار .. ولم أتعلم أكل الفراولة .

أين أفكار ماركس التي ضيعت عمرى معها .

قلت : لا تنفعلى بهذه الصورة .. فأنا حزين مثلك تماماً .. وربما أكثر منك .. لقد أخذنا جميعاً « بمبه » من المرحوم كارل ماركس ..

ضحك علينا .. قال لنا إن الصراع سيكون مع الإمبريالية واكتشفنا أن الصراع أصبح مع أنفسنا ومع كل مظاهر التخلف التى نعانى منها .

لقد أغرقتنا الكتب والنظريات وأبعدتنا كثيراً عن واقعنا بكل همومه ومشاكله .. تصورنا أن الأحلام تبنى القصور .. وأن الأمانى توفر السلع .. وأن الشعارات هى الغذاء الحقيقى للشعوب .. وأن الخطب يمكن أن تكون أكبر من ناطحات السحاب .

واكتشفنا يا رفيقتى أن صراخ البطون أعلى بكثير من صراخ الميكروفونات .. وأن احتياجات الناس أكبر بكثير من قدرات الحزب المسكين ، وأن مشاكلنا ليست فى صفحات الكتب ، ولكنها فى المصانع العاطلة .. والمبانى الآيلة للسقوط ، والشوارع التى تغطيها الحفر .. والبشر الخربين فى عواطفهم وعقولهم ، المشكلة يا رفيقتى ليست مشكلة كتب قرأناها ولكنها مشكلة إنسان ابتعدنا عن مشاكله الحقيقية.

ولم يكن هذا خطأنا .. لقد كان خطأ من لقنونا الأفكار فى غرف مغلقة لا نوافذ فيها ولا أبواب .. لقد كانت أخطاء من أغمضوا عيوننا فلم نر شيئاً أكثر مما نقرأ .. ولم نقرأ أكثر من قدرتنا على التفكير .. وللأسف الشديد لقد اكتشفنا أن قدرتنا على التفكير كانت أقل بكثير من أصغر من يعمل فى ورشة صغيرة ، ويعيش بين الناس يشعر بمشاكلهم ويرى آلامهم .

إن عقولنا أفسدتنا لأننا لم نسمع أكثر مما أراد لنا المغرضون الدجالون الذين باعوا لنا أفكارا معلبة .. فاكتشفنا أنها أصابتنا بالتسمم.

أنا حزين مثلك على هذا العمر الذى ضاع .. وسامح الله كارل ماركس وحوارييه .. أما جورباتشوف هذا فأنا لا أعلم من أين جاء لنا.. لقد ضيع علينا كل شىء .. حتى الأحزاب السياسية سمح أخيراً بتكوينها فى الاتحاد السوفيتى .. فى ثلاثة أشهر تنقلب كل موازين الشيوعية فى العالم بهذه الصورة .. هذا البناء العملاق يتساقط فى ثلاثة أشهر .. إنها معادلة غريبة .

رجل واحد يقلب موازين ألف مليون إنسان بأفكارهم ومعتقداتهم وحكوماتهم وأحزابهم . من أين جاء هذا الرجل .. وماذا سنفعل فى البقية الباقية من عمرنا من غير الشيوعية والمنشورات والخطب .. إن المشكلة أن معظم بوتيكات الفكر أغلقت أبوابها .. وليس هناك طريق آخر أمامنا .. كيف أتخلى عن اسمى ولقبى بأننى « ثائر » .. هل انتهى عصر الثوار ..

قالت : وماذا ستفعل ..

قلت : إننى أفكر جدياً فى أن أذهب فى جولة إلى دول أوروبا الشرقية لعلنى أستطيع أن أجمع شتات ما بقى من إخواننا الشيوعيين المخلصين هناك لكى نناقش كل هذه الأمور بصراحة ووضوح .. ولكن
كلة أننى لا أملك ثمن تذكرة السفر .. ثم إننى لا أستبعد أن أقترح
ـ دولة شيوعية بعيداً عن كل هذه الأحداث .. ولكننى
ن محدد نقيم عليه الدولة الشيوعية التى
الشيوعى للتصدى للمخطط الإمبريالى

الذى يقوده الآن الزعيم السوفيتى جورباتشوف .. لابد أن نبحث عن مقر للدولة الشيوعية .. هل لديك مقر ؟.

قالت : هناك مكان واحد يصلح مقراً لكم الآن ...

قلت : هل وجدت الحل .. ما هو هذا المكان ..؟

قالت : مستشفى الأمراض العقلية فى الخانكة ..

ويظَلّ قلبى .. فى يَدَى

قالت : هل جئت فى موعدى ..

قلت : ليس المهم أن تجىء الأشياء فى مواعيدها .. ولكن المهم أن نشعر أننا فى حاجة إليها ..

قد يأتى الشىء فى غير أوانه وزمانه .. ولكننا نشعر أنه ملأ كياننا وجدد حياتنا وأحيا مشاعرنا .. ما قيمة أن نغرس شجرة فى الوقت المناسب ثم نكتشف أن الأرض أصابها البوار وفقدت القدرة على العطاء .

قالت : ولكن أجمل الأشياء أن يجىء الحب فى الوقت المناسب.

قلت : هذا خطأ شائع ، فليس للحب مواعيد .. وليس للأشواق مواسم .. قد يجىء الحب فى فترة الشباب ويكون جميلاً ورائعاً ونبدأ معه حياتنا ونتوجها بهذا الهدف الجميل الذى يتسلل فى أعماقنا . وقد يجىء الحب فى فترة الرجولة فيعطى حياتنا طعماً ومذاقاً. يختلط فيه الإحساس مع النضج .. والصدق مع العطاء ، نشعر أننا نعيش عمراً

جديداً . وقد يجيء الحب فى وقت متأخر من العمر فيعطى الأشجار شيئاً من النضارة وهى تستقبل أحزان الخريف .. ويعطى القلب شيئاً من الدماء الحارة المتدفقة التى تعيد لنا إحساسنا بالحياة ويعطى العمر أحلاماً جميلة تساعدنا على أن نكمل الرحلة .

لكل عمر مشاعره وظروفه وإحساسنا به .

فى شبابنا نعيش الحب المجنون المتهور .

وفى رجولتنا نعيش الحب الناضج العميق ..

وفى شيخوختنا نعيش الحب بلا حساب .

والحب المجنون يحمل جنوح الشباب وأحلامه .

والحب الناضج يحمل عمق الرجولة وتجاربها .

وحب الشيوخ عطاء بلا حساب ؛ لأن ما بقى قليل ولا بد أن نعيش اللحظة بكل مشاعرها دون أن نحسب حساباً لأى شىء على الإطلاق .

قالت : معنى هذا أن الإنسان يجد الحب فى حياته أكثر من مرة.

قلت : مادامت جذور الشجرة تحتضن الأرض وتتدفق دماء الحياة فى شرايينها ستبقى قدرتها على العطاء .. شىء واحد يفقدها هذه القدرة .. أن نقطع جذورها .. ولهذا فإن الإنسان قادر على الحب حتى آخر نبض فى عروقه .

قد يمسك وهو يودع الحياة يد حبيب يجلس بجواره ويذرفان معاً

دمعة وداع حارة .. وقد يتجسد الكون أمامه فى عيون حبيبته فى لحظة فراق لا عودة ولا لقاء بعدها .

إن قلب الإنسان قادر على أن يخفق مادامت الدماء تسرى فيه ، ومادام الإحساس يعرف طريقه إليه .

قالت : ولكن الإنسان أحياناً يفقد القدرة على الحب ، فهل يكون ذلك بسبب العمر والظروف ؟.

قلت : إذا كانت لدينا القدرة على أن نحب فلدينا القدرة على أن نكره وأن نزيف مشاعرنا .. فالإنسان قد يبنى قصراً جميلاً يسكنه وقد يتركه مهجوراً فتسكنه الفئران .

والقلب قصر كبير إما أن يسكنه الحب والجمال والصدق أو يسكنه الحقد والزيف والكذب .

ويستطيع الإنسان أن يطهر قلبه كل يوم .. يحاسبه على الأخطاء ويبارك فيه العمل الطيب .. والسلوك النبيل . إن قلب الإنسان كالطفل الصغير ؛ يستطيع أن يحسن تربيته أو يتركه لرفاق السوء .

قلوبنا فى أيدينا نستطيع أن نعلمها ما نحب .. ومانريد .

قالت : أشعر الآن أننى لم أتأخر كثيراً .. لقد جئت فى موعدى.

قلت : مادامت قلوبنا تخفق نستطيع أن تستقبل الأشياء بمشاعرنا حتى ولو جاءت فى غير موعدها .

قالت : أريد أن أكون وردة جميلة فى حياتك .. ما أجمل أن

تغرس زهرة فى ليالى الخريف .. وأن ينساب ضوء خافت فى قصر مهجور .. وأن تشعل شمعة فى ليلة مظلمة .

قلت : الشموع تنبت فى قلوبنا ، والوردة يمكن أن تكون ربيعاً دائماً فى نفوسنا .. المهم أن تكون لدينا القدرة دائماً على أن نحب الحياة والأشياء ، والبشر .

بالحب نبنى كل يوم قصراً جديداً .. ونبدأ عمراً .. ونغرس أحلاماً ونحب الحياة أكثر ..

والإنسان يستطيع أن يتعلم الحب ، ويستطيع أيضاً أن يحترف الكراهية ، يستطيع أن يربى العصافير ، وأن يربى الخفافيش ، كل إنسان يختار ما يريد ..

هناك من يعشق الورود ، وهناك من يعشق الأشواك ، وكل إنسان يجنى ثمار ما يزرع ، فدعينا نزرع الورود فى زمن الأشواك .

أصدقاء آخر الزمان

قالت : ما الذى يكشف معادن الأصدقاء .. ؟

قلت : أعرف صديقى فى وقت محنتى .. أجده بجوارى فى ساعة حزنى .. أشعر بيده تمتد وتنتشلنى من دوامة سقوطى .. حين تظلم الدنيا وتغلق أبوابها أجده أمامى ممسكاً بشمعة صغيرة يحاول أن يفتح أبواب سجنى المغلقة .

الصداقة معدن نقى نختبر صلابته فى ساعات الشدة .. قد تجد حولك آلاف الأصدقاء إذا أقمت لهم حفلاً .. ولكنك قد لاتجد شخصاً واحداً منهم إذا واجهتك مشكلة ..

هناك أشخاص يعرفونك ويتقربون إليك مادمت واقفاً على قدميك، حتى إذا سقطت انفضوا من حولك .. وربما ألقوا عليك الحجارة.. أما الأصدقاء الأصدقاء فقد لا تراهم فى أوقات سعادتك ولكنك تجدهم حولك فى ساعة محنتك .

وأنا أحزن كثيراً كلما ضاع منى صديق .. أشعر بأن خسارة المال

تعوض ولكن خسارة الناس لا تعوض .. قد تخسر مالاً وتعوضه .. ولكن خسارة الصديق لا تعوض .

قالت : كيف أختبر أصدقائي ؟ إننى أحياناً أجد حولى مهرجاناً من البشر والكل يدعى أنه صديق .. كيف أعرف من يخدعنى ومن يحبنى. ؟.

قلت : ليست هناك وسائل محددة لكشف زيف الصداقات .. وخاصة أن الأقنعة أصبحت كثيرة .. والأدوار متشابهة .. والناس يجيدون التمثيل .. ولهذا فأنا أجلس عادة فى الصف الأخير لكى أشاهد المسرح .. والكل يؤدى دوره .. وأنتظر لكى أرى نهاية الرواية.. وعادة أجد أن ما بقى بين يدى من الأصدقاء أقل مما تصورت . وأنا أحزن كثيراً كلما خاننى أو تخلى عنى صديق ؛ فالصداقة مثل الحب عمل اختيارى .. لا أنا فرضت عليه صداقتى ولا هو أجبرنى على أن أكون صديقاً له .. وليس فى الصداقة اتفاق مسبق ولكن هناك اختيار قد تحكمه الصدفة أو العقل .. إن الصداقة مثل الحب تقتحم أيامنا .. وقد يخدعك صديق نصف عمرك وتكتشف أنه لم يكن أكثر من أكذوبة كبيرة وأن لغة المصالح هى التى ربطت بينكما ، وعندما سقطت المصالح سقط معها آخر أركان الصداقة .

قالت : كيف أختار أصدقائى؟

قلت : نحن نعيش الآن آخر الزمان .. ولهذا مطلوب منك أن تبحثى بين عشرات الأكوام من الأوراق المالية المزيفة عن ورقة واحدة صحيحة ..

مطلوب منك ألا تحاولى أن تقطفى الزهرة الجميلة لأن وراء عطرها ثعباناً كبيراً .

مطلوب منك ألا تتركى خزائن أسرارك بين أيدى صديق قد يبيعك فى أول مزاد .. وقد يعرض أسرارك فى أول بوتيك يلتقى فيه مع رفاق السوء ..

وما أكثر المذابح التى يتعرض لها الناس فى جلسات الأصدقاء ، يستباح العمر والسمعة والقيمة ، وفى كل ليلة ضحية جديدة تتسلل فى أعماقها الخناجر .. والكل يتحدث باسم الصداقة ..

الصداقة إحساس عميق فى داخلنا وليست مجرد أجندة تليفونات تجمع مئات الأرقام وعشرات العناوين وآلاف المصالح .. قد لا تجد فى أجندة تليفونك اسماً واحداً تأتمنه على لحظة صدق أو سر من أسرارك.

لابد أن يكون الإنسان حريصاً فى اختيار أصدقائه وخاصة فى زماننا الغريب الذى يبيع كل الأشياء .. ويمتهن كل المشاعر .. ويستبيح كل القيم . وليس معنى ذلك أن كل الصداقات سقطت .. وكل الأصدقاء باعوا ، ولكن أعدادهم صارت قليلة .. فما أكثر الناس حولك .. وما أقل الأصدقاء .. الأصدقاء ..

أشعر بوحدة شديدة كلما سقط منى صديق .. تزداد برودة الأيام.. ويزداد صقيع العمر .. وتكسو تلال الجليد مساحة كبيرة فى أعماقى .. وكلما كفنت صديقاً فى قلبى تمنيت لو أعدت له الحياة .. لو وجدته فجأة يستعيد نبضه وينهض واقفاً .. أتمنى وأنا أوسده أيام عمرى أن أسمع كلمة عتاب أو رجاء أو تراجع .

ما أكثر أصدقائى الذين واريتهم فى أعماقى وأنا حزين . خسارة الصديق خسارة عمر .. والعمر لا يرجع أبداً الوراء .

ظلال من الذكرى

عادت تدق أبواب أيامى ..

قالت : لم يبق بيننا إلا كل شىء جميل .. كلما تذكرتك طافت فى رأسى تلك الأيام الجميلة التى قضيناها معاً .. ومرت على قلبى صورة الأحلام فى براءتها والعمر فى أحلى لياليه .

قلت : كنت دائماً أذكرك وأقف أمامك باحترام شديد .. وأشعر أن لك مكانة عميقة فى نفسى .. وأن ظلال الخريف التى عبرت على أيامنا لم تستطع أبداً أن تنزع جذور ذكرياتنا ..

كلما طافت أمام عينى نماذج قبيحة من البشر تذكرت قلبك الكبير الذى احتوانى يوماً.

إن الإنسان منا يشبه خريطة الكون .، هناك مناطق فقيرة .. وأخرى غنية .. هناك مناطق تغرقها الأمطار وأخرى يقتلها الجفاف .. والناس مثل خريطة الحياة .. هناك من يغرقون الحياة بعطائهم .. وهناك من لا يعرفون شيئاً اسمه العطاء ..

بعض الناس مثل الأرض التى لا تعطى غير الملح .. وبعض الناس مثل الأرض الخصبة تعطى كل كنوزها كلما تدفقت فى شرايينها المياه .. وأنت من هذا النوع الأخير .. كنت دائماً أجد فيك وطناً جميلاً يعلم أبناءه كيف يكون الحب .. إنك نموذج غريب من الناس أصبح الآن نادراً فى هذا الزمن الردىء . ولذلك وضعتك فى جزء بعيد من قلبى وأغلقت عليك خزينة ذكرياتى .

كنت دائماً أخاف أن تهب على أيامك أشباح النسيان ، ولكننى تأكدت أن قلوبنا لا تنسى إلا ما يستحق النسيان ، وأن فى قلب الإنسان ميزاناً صغيراً يبقى ما يستحق البقاء .

هناك بعض الناس الذين يعبرون فى قطار أيامنا ولا نستطيع أن ننساهم .. وأنت من هذا النوع من البشر .. كنت أشعر أن قدرتى على نسيانك عبء لا أقدر على تحمله .

قالت : تمنيت كثيراً لو عاد بنا الزمان وعشنا أيامنا معاً مرة أخرى .

قلت : إننا لا نستطيع أن نعيد الزمان .. ولكننا نستطيع أن نحافظ على مشاعرنا .. ومادام الإحساس فى داخلنا يمكن أن نعيش زماناً آخر .

لقد كنت أشعر دائماً أن ما كان بيننا لم يصل إلى نهاية رغم أننا أسدلنا الستار .. والشىء الغريب أننا افترقنا دون استئذان .. وانسحبنا فى هدوء .. ولم تكن بيننا كلمة عتاب واحدة ، لم تجمعنا لحظة غضب

نحطم فيها شيئاً .. تسللنا في صمت وأخذ كل منا أشياءه وفي حزن رحل .

كنت دائماً أسأل عنك .. وكنت أتألم كثيراً وأنا أرى أمواج الحياة تلقى بك هنا وتدفعك إلى هناك ، وأنا لا أستطيع أن أمد يدى إليك .. حتى أصدقاؤنا سافروا ورحلوا من قاموس أيامنا لأنهم أصدقاء لحظة .. لم يحاولوا أن يمدوا بيننا جسرا صغيراً ، فى أحيان كثيرة لم أكن أريد شيئاً أكثر من أن أسمع أخبارك وأعرف ماذا صنعت بك الحياة .. ؟.

قالت : ولكننى كنت أعرف كل شىء عنك .

قلت : هذا هو الفرق بين حياتي وحياتك .. أنت تعيشين فى برجك العاجى البعيد وأنا أعيش فوق أوراق الشجر .. حياتى مشاع بين الناس .. وحياتك لا يعرفها أحد .. أيامى تتناثر أمامى كالزجاج المكسور فوق أرصفة الشوارع .. وأيامك زجاجة عطر معتقة وصورة جميلة فى برواز أنيق .. أيامك واحة تحيط بها الأشجار والأزهار من كل جانب ، وأيامى بحر صاخب يتغير كل يوم وكل ساعة عشرات المرات.. كم تمنيت أن أعيش بعيداً عن ضجيج الناس وتفاهاتهم وأخطائهم .. لكننى لا أستطيع .. فشلت فى أن أضع بينى وبين الحياة سداً يمنع عن عينى المناظر القبيحة والوجوه التى تحمل عشرات الأقنعة، ولكننى لم أستطع أن أفعل ذلك ، لقد تعودت على أن أعيش الحياة بكل متاعبها وأحزانها مع النصابين والمزورين والأفاقين .. سيرك كبير نعيش فيه ومازلنا نسمى الناس بشراً رغم أن كل شىء فى هذه الحياة فقد كل معانى الإنسانية .

قالت : مازلت تحبنى ..

قلت : أجمل الأشياء أن أحب إنساناً وأحترمه ..إن ذلك أعلى مراتب الحب ، أن يجتمع الإحساس مع التقدير .. أن تتوحد مشاعر القلب والروح مع حسابات العقل .. وأنا مازلت أحبك وأحترمك ..

قالت : هل تجمعنا صدفة أخرى .

قلت : أجمل الأشياء فى حياتنا تحملها صدفة .. وسوف أعيش على أمل صغير أن تتكرر هذه الصدفة ...

ليلة خاصة جداً ..

جلست أحتفل بعيد ميلادى

نامت كل الأشياء حولى ..

كان الليل صامتاً .. والجدران تنظر إلى ملامح وجهى .. وأثاث الغرفة يتثاءب فى كسل غريب ..

كانت حولى آلاف الكتب .. كل كتاب منها أخذ شيئاً من عمرى.. وكان معى آلاف الأصدقاء .. كل واحد منهم قدم لى شيئاً .. فأنا مدين لهم جميعاً ، ولكنه الدين الذى لا أستطيع أن أرده لهم يوماً .. لقد أعطونى عصارة فكرهم ورحيق عمرهم وضوء عيونهم وتجارب أيامهم..

كل صديق من هؤلاء الذين أحاطونى هذه الليلة أعطانى من عمره شيئاً ..

جلست أنظر إلى أصدقائى الذين أخذوا مساحة كبيرة فى قلبى.. وتركوا علامات كثيرة على عقلى ..

مئات الشعراء والكتاب والمبدعين فى كل لون ..

منهم من رأيته بعقلى وقلبى وعرفته عن قرب .. ومنهم من رأيته بوجدانى .. شيوخ وشباب .. عباقرة وصعاليك ومجانين إبداع وفن ..

عشت ليلتى مع هؤلاء جميعاً فى يوم ميلادى .

سنوات كثيرة عبرت .. كأننى فى قطار وذهبت فى لحظة نوم لا أدرى كم طالت .. ولكننى اكتشفت بعد أن صحوت من غفوتى القصيرة أن محطات كثيرة قد عبرت .. وأن كثيراً من رفاق الرحلة ذهبوا .. وأن القطار قطع مسافات طويلة .. وأن السفر كان مرهقاً ومتعباً وثقيلاً.

فى رحلتى فى القطار رأيت وجوهاً كثيرة أحببتها .. ووجوهاً أخرى كثيرة رفضتها .

لا أستطيع أن أقول أننى كرهت أحداً .. فأنا أرفض أن أكون صديقاً أو قريباً من أحد لكننى لا أستطيع أن أكره .. لأننى أحتقر هذا الإحساس وأعتبره أكثر درجات الضعف البشرى.. وحتى هؤلاء الذين أساءوا إلى وألقوا الحجارة على رأسى كنت أتركهم لأنفسهم ليس عن ضعف ولكن عن ترفع ..

فى رحلة القطار حاولت أن أعيش كما أحب.. ونجحت فى بعض الأحيان .. ولكننى لم أنجح فى كل الأحيان .. ولكننى أعتقد أن هناك أشياء كثيرة لم أفرط فيها .. فلم أدخل فى مساومات على عمرى وفنى وحياتى .. ولم أحاول أن أعيش كما يريد لى الآخرون .. وصمدت أمام إغراءات كثيرة سال أمامها لعاب الكثيرين .. ولم أبخل بعمرى وجهدى على فنى فأعطانى أكثر مما تمنيت ..

وفى رحلة القطار تعثرت قدماى .. ووجدت من يحاول أن يدفعنى تحت عجلاته .. وكانت عناية الله أسبق .. ووجدت أيضاً من أخذ بيدى وأرشدنى ولم يبخل على بحكمته .. ووجدت قلوباً كثيرة أحبتنى وهى لا تعرفنى .. وقلوباً كثيرة احتوتنى .. وأيضاً وجدت من ظلمنى وهو لا يعرفنى .. لم أندم على شىء لأننى أومن عن يقين أن واجبنا أن نعمل ما نستطيع وألا نبخل بالجهد وعلى الله قصد السبيل..

ولم أنظر فى يوم إلى ما فى أيدى الآخرين .. لأن عندهم ما يميزهم وعندى ما يرضينى وكلانا قانع بما عنده .

جلست أحتفل بعيد ميلادى بين أصدقائى الذين تناثروا كالنجوم فوق سنوات عمرى .. أحمد شوقى وابن زيدون والمتنبى والعقاد وطه حسين ومحمود حسن إسماعيل والمازنى وطاغور والحكيم .. عشرات المبدعين الذين أحببتهم ، وجلست بينهم كطفل صغير .. وعاد بى الزمان سنوات للوراء وتذكرت أيام الحلم .. ولحظات الانتصار .. وكبوات الزمن..

تذكرت من مدوا أيديهم فى لحظة انكسار .. ومن أطلقوا سهامهم فارتدت إلى صدورهم .. وأدركت أن لكل زمان مذاقاً خاصاً.. وأن لكل عمر بهجة مميزة .. وأن الحياة تسرق منا العمر وتعطينا التجربة .. وأن التجربة تأخذ منا الجهد وتترك لنا الحكمة ..

وإذا أخذت الحياة منا القدرة منحتنا الطمأنينة فتحملنا دروب الشك إلى الإيمان ، وأمواج الحيرة إلى شواطىء اليقين ، ومع الفن نعيش مع الجمال للجمال ..

جمال العين والقلب .. والإحساس ..

أيقنت وأنا أودع عاماً لن يعود أننى خسرت زماناً وكسبت إنساناً .. وأننا نستطيع أن نعيش العمر مئات المرات مادام فى أعماقنا قلب ينبض .

أغلقت باب مكتبى.. وأطفأت مصباحى .. وودعت أصدقائى .. ثم .. غفوت .

أوراق العُمـــر الضـــائع

قالت : كلما قرأت لك أشعر أنك تضيع عمرك فى أوراق لن تغير فى وجه الحياة شيئاً .. تزرع الأحلام فى أرض جرداء خاصمتها الخضرة منذ زمان بعيد .. تحاول أن تعيد النبض إلى ضمائر ماتت وقلوب استكانت ونفوس أصابها العطب .

المعادلة يا سيدى ليست فى صالحك على الإطلاق .. إنك لا تملك شيئاً غير هذه الأوراق ، فهل تتصور أنك بالكلام تعيد النبض لأشياء ماتت .. إن الشمعة التى تحملها لن تضىء أكثر من يديك ، وهناك آلاف الزوابع حولها .. وملايين العواصف التى تجتاح كل ما هو مضىء فى هذه الحياة .

تحاول أن تغير زمانك .. انظر إلى الضحايا حولك ممن حاولوا أن يوقظوا الضمائر ويعيدوا للحياة جلالها ونقاءها القديم .. أنت يا سيدى تحرث فى البحر ..

قلت : إذا كان أمام المرء خياران فلابد أن يختار أحدهما .. وأنا لا أصلح أن أكون مهرجاً فى السيرك .. ولا أستطيع أن أشارك كل يوم فى مزاد .. ولا أتصور نفسى كذابا فى زفة .. وكل ما عندى بعض بذور الخير الصغيرة التى أغلقت عليها خزائن عمرى وأحاول أن أزرع بعضاً منها فى هذا المستنقع .. بعضها يصيبه العفن .. والبعض الآخر تدوسه الأقدام .. ومازلت أنظر لعل بذرة واحدة تقاوم رطوبة الأرض وفساد الجو وترتفع قامتها إلى السماء .. أكتب عن الحق وأعرف أنه ضيف غريب بيننا .. وأن أعداد الأفاقين واللصوص تزداد كل يوم فى كل مكان ، وأن أعداد الشرفاء تتراجع .. أعرف أننى أحاول أن أزرع فى صحراء العمر أحلاماً .. وأن الحلم يبدو فى بعض الأحيان نوعاً من الانتحار .. فأنا أتحدث عن أشياء لا يذكر الناس ملامحها وليست لهم ذكريات معها ، فأنا لا أسترجع شيئاً مضى ، ولكننى أحاول أن أبعث الروح فى شىء مات .

فالأحلام التى أحاول أن أغرسها تبدو فى بعض الأحيان أقرب للفكاهة والسخرية وضياع الوقت .. وفى أحيان أخرى تبدو مواعظ ثقيلة على النفوس والبشر ..

أكتب عن الحب والجمال والصدق والنزاهة والترفع .. والوفاء والشهامة ونبل الأخلاق .. ولكنها أشياء قد يعرف الناس أسبابها .. ولكنهم يتباكون عليها ، ويضعون على قبورها كل يوم باقات الزهور ويطلبون لها الرحمة والغفران .

أعرف أن التيار عنيف .. وأن الجسد نحيل .. وأن العمر أقصر من القدرة على الأحلام .. ولكننى رغم هذا كله مازلت أحاول ، وليست

البطولة فى هذا الزمان أن يحمل الإنسان سيفاً .. ولكن البطولة الحقيقية أن يحمل الإنسان ضميراً .

قالت : وبماذا تشعر وأنت تكتب لنا هذا الكلام .. البعض يتصور أنك تعيش فى برج عاجى .. وأنك مثل مارى أنطوانيت حينما قالوا لها : إن الشعب لا يجد الخبز .. فقالت : لماذا لا يأكل الحلوى !.

قلت : أنا لا أدعو الناس لكى يأكلوا الحلوى ، فأنا أعرف تماماً أن الكثيرين منهم لا يجدون الخبز .. وليست مسئولية الكاتب أن يدور فى الشوارع يحاول أن يواجه مشاكل الناس ويبحث عن حلول لها .. والقضية ليست قضية بطون خاوية فقط .. ولكنها مشكلة قلوب أصابها الخراب ، ونفوس سكنتها الوحشة .. وضمائر مات فيها الإحساس ..

ما أكثر الذين فى يدهم كل الأشياء ويحاولون امتصاص دماء الأبرياء والبسطاء وأصحاب الحظوظ التعسة !.

ما أكثر الأغنياء الذين يسكرون من دماء الفقراء فيسرقون أعمارهم وأحلامهم وحصاد أيامهم !.

هناك الغنى الذى يسرق من المريض كليته أو عينه ، ويجد الطبيب الذى يقوم بأعمال السمسار!.

هناك التاجر الذى يستنزف كل يوم آلاف الضحايا لكى يكدس الأموال فى البنوك .. وقد ينفقها فى الإدمان ..

القضية ليست قضية أحلام نزرعها فى غير أرضها ولكنها قضية البشر حينما تسقط فى أعماقهم كل ألوان الفضيلة .

ليست القضية من يأكلون الحلوى ومن لا يجدون رغيف الخبز.. القضية أكبر بكثير ..

فحينما تموت قلوب الناس وتتكاسل ضمائرهم وتخبو في أعماقهم معاني الجمال يصبح من الضروري أن نقف على آخر القلاع في محاولة أخيرة من أجل إنقاذ الإنسان الإنسان .. وأنا أحاول هذا بقلمي لأنني لا أملك شيئاً غيره .

مملكة الحب . . وتوظيف الأموال !

قالت : ما الذى يضايقك من حواء ؟

قلت : أن أشعر أحيانا أننى أمام مأمور ضرائب يحاسبنى ولا يثق فيما أقول ، يتشكك فى أوراقى ، ويلعب معى لعبة القط والفأر .

أشعر أحيانا أن الحياة أفسدت حواء ، فنسيت أن الله خلقها للعطاء ، وأن الأمومة جزء من تكوينها ، والأم هى المنطقة الوحيدة التى لا تستخدم قوانين الربح والخسارة فى العلاقات الإنسانية .

كثيرا ماتطلق حواء كلماتها كالصواريخ : أعطيتك عمرى وشبابى وجمالى وأحلى سنوات عمرى .

وهبتك العيون يوم أن كانت جميلة ، والضفائر حينما كانت تطاول أشجار النخيل ، والشباب حينما كان بريقا وتدفقا وحبا .. أعطيتك كل شىء .

ونسيت حواء أن رجلها أعطاها أيضا كل شىء :

أعطاها شبابا ، وكانت الشعيرات البيض تختفى فى السواد يوم قابلها ، ومضى الزمان واشتعل الرأس شيبا .

كان يصعد درجات السلم كالغزال النافر ، وأصبح يتسكع عليه فى رحلة طويلة مرهقة .

وكان يسهر الليل والنهار ليوفر لها حياة كريمة مع أبناء سعداء .

إن حواء لا تخطئ حينما تقول لرجلها : أعطيتك شبابى . ولكنها تخطئ إذا تصورت أنها أعطت وحدها ، وأن عمرها قد ضاع ، فهو أيضا ، أعطى ، وعمره ضاع .

قالت : ربما يرجع ذلك لأن حواء خلقت لتكون لرجل واحد ، ولكن الرجل يستطيع أن يجمع بين أكثر من امرأة ، بالدين والتقاليد والقانون.

قلت : كان هذا فى زمان مضىء ، فلا يستطيع الرجل الآن ، بكل المقاييس ، أن يجمع فى حياته بين أكثر من امرأة .

بمقاييس المال لا يستطيع ذلك إلا قلة من أثرياء زماننا الردىء ، وهؤلاء أكثر الناس جهلا بقيمة المرأة ، إنسانيا وأخلاقيا وعاطفيا ، فليست المرأة فى نظر هؤلاء أكثر من قطعة لحم أبيض .

وعلى المستوى النفسى والفكرى والثقافى ، أعتقد أن تركيبة الرجل تغيرت ، فهو فى أحيان كثيرة يريد حواء المتكاملة : عقلا وروحا ، فيبحث فيها عن وجدان يحتويه ، وعقل يخاطبه ، وحوار يجدد ركود أيامه .

الرجل فى زماننا مرهق للغاية ، على كل المستويات .

هو يلهث طول الوقت ليوفر حياة مناسبة ، ولا أقول حياة كريمة . هو مطارد كل الوقت فى حياته وعمله : إذا نجح حاربه الفاشلون ، وإذا عمل هاجمه العاطلون ، وإذا سقط سخر منه الجميع . ولهذا نجده يحارب فى جبهات كثيرة ليحمى نفسه ويحمى من يحب .

وحواء أيضا أرهقها زماننا .

فهى لم تعد الأميرة التى تأمر فتجيب الحاشية أوامرها ، ولم تعد الأم التى تعطى أبناءها العمر والصحة والشباب ، ولم تعد الحبيبة التى تقضى عشرة أيام من الأسبوع تتغزل فى عيون حبيبها .

أرهقتها الحياة أيضا ، فهى مطاردة : فى العمل والأتوبيس وطوابير الجمعية . أو مطاردة بالوقت الضائع والفراغ وحكايات النوادى التافهة .

وجلس كل واحد منهما فى جانب يحاول أن يحاسب الآخر : ماذا أعطيت ؟ مع أن الذى يستحق الحساب والعقاب هو زماننا الغريب ، الذى استباح كل قيم العطاء والصدق والجمال .

قالت : ولكن الرجل أنانى بطبعه .

قلت : الأنانية مرض عام لا يخص الرجال وحدهم ، لأن حواء تعانى منه كثيرا ، وإن كنت أتصور أن الأنانية من أبرز أمراض هذا العصر ، لأن كل واحد يحاول الآن أن ينجو ببدنه ، حتى ولو داس

الآلاف بأقدامه فى رحلة الصعود . وهناك مثل سخيف يقول : « إذا جاءك الطوفان ضع ابنك تحت قدميك » وهو منتهى الأنانية ، وهذا هو منطق العصر الذى نعيش فيه .

قالت : وبماذا تنصحنى ؟

قلت : لا أحب أبداً أسلوب فتح الملفات فى العلاقات الإنسانية، فأنت حينما أعطيت عمرك وشبابك وقلبك ، أعطيت عن حب واختيار واقتناع ، ولهذا يجب ألا تندمى . وهناك طرف آخر أعطى أيضا عن اقتناع ، فكلاكما لم يمارس لعبة نصب على الآخر ، فهى بلغة الاقتصاد صفقة متكافئة ، لأن كليكما أعطى ، وربطت بينكما أشياء كثيرة ، ذكريات عمر جميل ، حتى الأيام الصعبة تربط بين قلوب الناس ومشاعرهم .

أسوأ ما يصيب الأحباب أن يتصور طرف أنه خدع الآخر ، وسرق منه بعض سنوات عمره ، فالسرقة إحساس ردىء ، ولا يجب أن يدخل دنيا المشاعر . ولن أكون سعيدا ، أبدا ، إذا شعرت بأننى سرقت سنوات عمر إنسانة أحببتها ، أو تتصور هى أننى سرقت منها شبابها .

الذى أعرفه أنه لا توجد شركات توظيف أموال فى مملكة الحب .

عيناك نهر من جنون

قالت : لماذا يتغنى الشعراء كثيرا بالعيون .. فى الشعر العربى والعالمى تقف العيون فى منطقة عزيزة عند الشعراء تصل إلى درجة القداسة ، فهى المأوى والملاذ والوطن ..

قلت : لأن العيون أقل المناطق كذبا فى الإنسان .. والشعراء دائما يبحثون عن الصدق فإن لم يجدوه بين الناس كتبوه شعرا .. والإنسان يكذب بلسانه فيقول كلاما يختلف تماما عن مشاعره الحقيقية .. وقد يخفى وراء الكلام المعسول والعبارات الأنيقة آلاف المؤامرات ومئات الدسائس .. والعيون أحيانا تكشف كذب اللسان ، فقد تسمع عبارات الحب والهيام والغرام وتقول لك العيون عن كل مشاعر الخداع والغدر .. ولهذا فإن العيون من المناطق التى لا تعرف الكذب فى الإنسان باستثناء حالات خاصة اعتاد الناس فيها على الكذب واحترفوه، وما أكثر هؤلاء فى زماننا .

والعيون تسبق الكلام .. والشىء الغريب أن قصص الحب واعترافات العشاق قالتها العيون قبل أن تحكيها الألسنة ..

وقد تبقى لغة العيون سرا لا يعرفه أحد ولا يفصح عنه لسان .. كل آلام الفراق والذكرى قالتها العيون فى صمت دموعا وألما قبل أن نسمعها كلاما .

كل لحظات الفرح والسعادة ترقص فى عيون الإنسان بحيث يصبح الكلام شيئا باهتا أمام بريق العيون وهى فى قمة سعادتها . وحتى أطفالنا الصغار نطقت عيونهم بكل المشاعر قبل أن يتعلموا الكلام .

من أجل هذا كانت العيون هى المأوى للشعراء .. فى أوقات سعادتهم يجدون فيها الأمن والبهجة .. وفى أيام شقائهم يجدون فيها العزاء والسلوى .

وقد يرحل عنك حبيب وتختفى مع الأيام كل ملامحه وفجأة يطل بريق عينيه من دفتر ذكرياتك وتتساءل بينك وبين نفسك كيف سافرت كل الأشياء ورحلت كل الذكريات وبقيت كلمات العيون .

وفى تقديرى أن الألم أرقى المشاعر ، والعيون أكثر المناطق فى الإنسان تعبيرا عن الألم .. هى التى تترجم مشاعر الإنسان فى قطرات من الدموع فتطهرها .. وتطهرنا .

من أجل هذا أحب الشعراء العيون .

قالت : ولكنهم يتحدثون كثيراً عن لون العيون الزرقاء ، والخضراء والسوداء .

قلت : لا أعتقد أن الإنسان يحب العيون ألوانا ، ولكنه يحبها

إحساسا .. حينما يحب الإنسان شخصا فهو يرى أن عيونه أجمل العيون فى الدنيا ، وأنها جاءت من خارج حدود الزمن ، وأنها عيون لن توجد على الأرض مرة أخرى .. وهذه هى روعة الإحساس وليست فقط روعة العيون .

قالت : عيونك تشبه تماما عيون رجل أحببته يوما .. تصور أننى تذكرت هذا الآن فقط .. مع أننى نسيت حبيبى هذا منذ زمان بعيد .. لكنى أتذكر أحيانا بريق عينيه .

قلت : هناك بعض الفنون التى تحكمها مقومات محلية .. ومنها مثلا اللغة فى الشعر .. وهناك أيضا فنون عالمية ومنها الموسيقى ؛ ولهذا اعتبرها البعض أرقى أنواع الفنون الإنسانية .. والعيون تشبه الموسيقى لأن لها لغة عالمية .. تختلف الشعوب فى لغاتها وتوحدها الموسيقى ، وتختلف لغات البشر .. وتجمعهم لغة العيون .

قالت : عندى إحساس أنك تبحث عن عيون حبيبة هجرت ..

قلت : بعد مرور وقت من الزمن تتداخل الأشياء بعضها فى بعض، ووسط هذا الركام وهذا الزحام لا يبقى من الضوء إلا بعض البريق الخافت يتسلل داخلنا .. ولا يبقى من مشاعرنا إلا محطات قليلة للذكرى .. عيون كثيرة عبرت ولم يبق منها إلا القليل فلم تكن جميعها صادقة .. والقليل منها عاش فى خيالى .

قالت : وهل ستذكر عيونى .. ؟

قلت : أرجوك اخلعى نظارتك كى أسمعك أكثر .. لأننى أحب أن أسمع لغة العيون .

هذه المرأة صديقتى ..

قالت : لماذا لا يعترف مجتمعنا الشرقى بالصداقة البريئة بين الرجل والمرأة .. إن الصداقة عملة مرفوضة تماما فى سوق المعاملات بين الرجل والمرأة فى عالمنا العربى .. إذا جلس رجل مع امرأة فلابد أن تكون بينهما قصة حب .. والمرأة فى نظر الرجل الشرقى لها مكان واحد .. إما زوجة أو حبيبة .. ولا مكان للصداقة .. ولهذا فإن الرجل الشرقى لا ينظر للمرأة إلا فى كونها أنثى .. لا أتصور مثلا أن يجلس رجل إلى امرأة يشكو لها هما .. أو حزنا .. أو يعرض عليها قضية .. أو مشكلة .. وحتى إذا افتعل ذلك فلكى يفتح أبوابا أخرى .. إنه كالذئب يحاول أن يعرف الطريق إلى فريسته .

قلت : أنا واحد من الذين يؤمنون بالصداقة بين الرجل والمرأة ويمكن أن تكون صداقة مجردة تماما من كل الأغراض . ويمكن أن تكون المرأة فى موقع الأخت أو الابنة .. يمكن أن تكون صديقة أستشيرها فى مشكلة ، وتعاوننى فى أزمة ، وتقف معى فى ساعة محنة ، ولكننا فى مجتمعنا الشرقى لا نقبل دائما هذا الشكل من أشكال العلاقات

الإنسانية .. ويرجع ذلك لأسباب كثيرة .. إن ذلك يرتبط بدرجة كبيرة بمستويات الرقى الفكرى والعاطفى والسلوكى للإنسان ، والمؤكد أن الإنسان كلما ارتقى فى فكره ارتقت غرائزه وسمت محسوساته ، وأخذت الأشياء فى أعماقه أشكالا لها قداستها وسموها.. وكلما ازداد تخلف الإنسان نظر للأشياء بمعيار غرائزه فقط .. ولهذا ستظل علاقة الرجل بالمرأة منطقة من المناطق المهمة التى يمكن أن نكتشف من خلالها مدى رقى المجتمعات ومدى تخلفها .

كنت فى يوم أجلس فى بهو فندق فى بلد عربى ، ودخلت سيدة من باب الفندق واتجهت إليها أنظار الجالسين من الرجال فى مظاهرة صاخبة متحدية ، ونظرات شرسة غريبة تكاد تجردها من ثيابها .. وقلت لنفسى ، هكذا يرى الرجل الشرقى المرأة .. مجرد قطعة من الحلوى يريد التهامها .

والرجل المتخلف لا يحاول أبدا أن يسافر فى عقل امرأة أو يخاطب فكرها أو يثير معها قضية أو يجرى معها حواراً . إنه عادة لا يرى فيها إلا شيئا واحدا .. أنثى ترضى غرائزه .. وامرأة تشبع نهمه . وقطعة حلوى يسيل عليها لعابه ..

وكارثة التخلف هذه لا تصيب الرجل وحده .. فالمرأة أحيانا تكون لها نفس المواقف .

ويرجع ذلك فى رأيى لأسباب كثيرة ..

إن القهر الاجتماعى والأخلاقى الذى تعرضت له المرأة جعلها فى

أحيان كثيرة تشعر أنها لا تمثل أية قيمة بدون الرجل .. وإن ظل رجل ولا ظل حائط .. فهى تعتمد عليه اقتصاديا .. فهو مصدر المال .. واجتماعيا فهو مصدر الحماية .. وعاطفيا فهو المسيطر والمتحكم والسيد المطاع .

وكان للقهر الاجتماعى أثره فى صياغة التركيبة النفسية والسلوكية للمرأة ، ولهذا أصبحت العلاقة بين الرجل والمرأة لا تقوم على عناصر الإمكانيات والقدرة والتكافؤ .. وتحدد دور المرأة فى إطار اجتماعى مهما تطورت قدراتها وزادت إمكانياتها وتغير دورها فى الحياة .

وهناك جانب آخر فى هذه الظاهرة وهو التعليم .. فقد ظلت المرأة الشرقية قرونا طويلة فى « الحرملك » ، وقضت عمرها فى ظلمات الجهل.. ولا شك أن التعليم والثقافة من الجوانب الأساسية التى أدت إلى استنارة عقل المرأة وصياغة وجدانها فى شكل جديد أكثر رقيا وترفعا . ومع التطور الحضارى والفكرى تغيرت مفاهيم كثيرة فى علاقة الرجل بالمرأة .. وبدأت تأخذ أشكالا أخرى فى مجالات العمل والدراسة والسلوكيات العامة ، واقتربت من الصيغة المجردة التى تحقق قدراً كبيراً من الاحترام المتبادل .

وأنا واحد ممن يؤمنون بقدرات المرأة .. فهى لا تقل فى مستوى تفكيرها وتكوينها العقلى والوجدانى عن الرجل .. بل إنها تتفوق فى مجالات كثيرة .. وهى أقرب بحكم تكوينها من الجانب الإنسانى فى الحياة .

ولقد تفوقت حواء فى نصف القرن الأخير فى مجتمعنا الشرقى ودخلت مجالات كثيرة من مجالات الإبداع والعمل فارتقت مشاعرها .. وتهذبت غرائزها ، وصارت أكثر نضجا وفهما لطبيعة الحياة والأشياء

وأنا لا أدين المرأة حينما تنقلب موازين الأشياء فى علاقتها بالرجل ؛ لأننى أعتقد أن المرأة تستطيع أن تضع إطاراً محدداً للصداقة، فهى بحكم تكوينها لا تقبل إلا رجلا واحداً فى حياتها تعطيه مشاعرها.. ومن هنا يمكن لها أن تنظر للأشياء بعين مجردة .. وهى لهذا السبب أقدر على قبول علاقة الصداقة مع الجنس الخشن .. ولكن الرجل الشرقى هو الذى يقلب عادة موازين الأشياء ..

ولا أعتقد أن الصداقة بين الرجل والمرأة ستغيب طويلا فى مجتمعنا الشرقى ، فهناك بوادر كثيرة يحملها المستقبل فى أن تصبح هذه العلاقة واقعا جميلا يعترف به الرجل وتقبله المرأة .. قد يحتاج ذلك إلى بعض الوقت .. ولكن الشىء المؤكد أن هذا الزائر العزيز لن يغيب طويلا .

وما عاد الحبيب .. حبيبا

قالت : ما الذى يغير مشاعر الحب فينا .. لماذا تخبو أحيانا ملامحها .. وتغيب ظلالها .. إن الإنسان حينما يحب يحمله شلال جارف من المشاعر فيذوب تماما فى إنسان آخر .. يراه العالم والبشر والأشياء ، يتوحد كل منهما فى الآخر .. فيرى الحياة بعينيه .. ويسمع العالم بأذنيه .. ويصافح الدنيا كلها بيديه ..

فى الحب يصبح الشخصان شخصا .. والقلبان قلبا .. والرئتان رئة واحدة .. الحب يلغى ذات الإنسان ويوحدها مع ذات أخرى بدون قرارات وحدوية .. أو قوانين ائتلافية ..

ولكن مشاعرنا أحيانا تتغير ، وفجأة نجد الأشياء سقطت من أيدينا .. فلا عاد الحبيب حبيبا .. ولا أصبحت الأشواق أشواقا .. وهدأت البراكين .. واستراحت الأمواج .. وسكنت الشواطئ ..

فلماذا يحدث ذلك .. كيف تصير النار رماداً .. وكيف يصبح الجمر جليداً والماس ترابا ..

قلت : المشاعر لا تتغير .. ولكن الإنسان أحيانا تسرقه الحياة من نفسه فتتبدل أحواله وتتغير ظروفه وهو غافل عن كل هذا ..

حينما يحب الإنسان يصبح القلب مركز الحياة .. فنرى من نحب في كل شيء حولنا .. حينما أنظر إلى وجه حبيبتي أرى تفاصيل العالم في وجهها .. أحفظ ملامحها .. أسمع دقات قلبها .. تسكن أعماقي وجها ولونا وظلالا ..

ووسط هذا الإحساس الجارف يمكن أن تتسلل بعض الأشياء بيننا..

تطفو على السطح مسئوليات الحياة ومشاكل البشر .. وفي بعض الأحيان تكون هذه الأشياء دافعا للتقارب .. وقد تكون أيضا سبيلا للخلاف .. يحاول كل منا أن يلقي المسئوليات على الآخر .. تتسرب بيننا مشاعر الأنانية ونحن لا ندري .. تحملنا مشاكل الناس ونحن غافلون عن أنفسنا .. والحب إحساس رقيق لا يستطيع دائما أن يتحمل أعباء المسئولية إذا لم نعوده عليها .. وتصبح مسئوليات الحياة ومشاكل الآخرين تلالا تختفي خلفها الوجوه .. ثم تغيب الملامح .. ثم نكتشف أن الذي بقي بين أيدينا بعض ظلال من الذكرى .

قالت : ولكن الحب قادر على أن يتحمل كل الظروف ..

قلت : هذا صحيح .. ولكن لكل شيء طاقة .. فالشمس يمكن أن تكون جميلة وممتعة حينما تمنحنا الدفء في الشتاء .. ولكنها تقتلنا بحرارتها في الصيف .. كذلك الحب .. يستطيع أن يتحمل ، ولكن من

الظلم أن نحمله فوق ما يستطيع .. لا يمكن أن نطلب من الطرف الآخر أن يعطينا كل شيء .. ونحن نبخل عليه بكل شيء .. لا يمكن أن نطلب من الطرف الآخر أن يذوب أمامنا شوقا ونحن نذوب أمامه برودا .. والحب سلوك ومواقف قبل أن يكون قصائد شعر وأغاني .. ماأسهل حب الكلمات .. وما أصعب حب السلوكيات ..

أجمل ما في الحب العطاء .. وأجمل ما في العطاء المشاركة .. وأجمل ما في المشاركة أن تجيء عن اقتناع واختيار ..

قالت : هل يموت الحب بالسكتة القلبية ..

قلت : الحب لا يموت فجأة .. إنه مثل الإنسان يصيبه الزكام والإنفلونزا .. ويرتاح بعض الوقت .. وقد تصيبه أمراض خطيرة وهوغافل عنها .. وتتضاعف حالته .. وتظهر أعراضها ، وربما يصبح العلاج صعبا .

إن الحب يرسل لنا مجموعة إنذارات حينما يتعرض للعواصف .. يطلب منا النجدة .. قد نسمع بعضها وقد نتجاهل البعض الآخر .. سوف يطلق أمامنا صفارات الإهمال ونحن لا نسمع .. وسوف يعلق على عيوننا أشياء صغيرة نسيناها .. ونحن لا نرى .. ثم نكتشف أن قلوبنا لم تعد تنبض كما كانت .. وأن مشاعرنا أصابها الفتور ..

في الحب هناك مواجهة يومية مع النفس ، لابد أن تختبر إحساسك كل يوم .. لأنك إذا غفلت عنه دقيقة ربما رحل عنك إلى الأبد.. فجأة يتسلل خارجا من البيت دون أن يترك دليلا أو عنوانا أو سكنا ..

قـــالت : ولـكن الإنســـان يضـــيق بهـــذا كله ، مـن أين يجىء بالصبر؟..

قلت : إذا تحدثنا عـن الضيق والصبر فـلا مكان بينـهـما للحب .. إن أخطر ما فـى الحب مسئولياته .. وهو لا يحتاج للصبر ولكن يحتاج للعطاء .. ومن السـهل جدا أن نبدأ قـصة حب ، ولكن الصـعب دائمـا أن نضـمن اسـتمـرارها .. والحب لا يسكن مـدينـة لا تعرف الصـدق ؛ ولهـذا نادراً مـا نراه فى أوطاننـا ..إنه يعـرف قدر نفسـه .. ولهـذا يختـار البشـر والأوطان قـبل أن يضع رحـاله .. وقـد ننتظره العـمـر ولا يأتـى .. وقـد يكون بين أيدينا ويختفى فجأة .. ولا نعرف له بعد ذلك أثراً ..

إذا اخـتـفى الحب يومـا عـن مـدينة لا تلومى الحب .. واسـألى سكانهـا : لماذا تسربت من بين أيديـكم خيـوط النور وشـواطئ الصدق .. وأبواب العطاء .. فالحب لا يهجر وطنا إلا إذا صار غريبا فيه ..

ظلال الشك .. تبعدنا

قالت : ظلال الشك تقف بيننا سدا . أشك دائماً فيك ، وفى كثيرين حولك . وأنت تشك دائماً فى ، وفى كثيرين حولى . لماذا يتسرب الشك داخلنا ؟ لماذا نراه يجذبنا كلما حاولنا الاقتراب ؟ أشعر أن فى رأسك ألف امرأة غيرى ، وتشعر أن فى حياتى ألف عنوان غيرك، رغم أننى تعبت من السفر ، وأن ليالى الصقيع ستكون طويلة ، وأن الوحدة شبح كريه يطاردنى ، وأننى أريد رجلاً يحتوينى : بيتاً وقلباً وزماناً .

إن حبك يملأ كل ذرة فى كيانى ، لكن الشك يشبه الرياح التى تحمل ذرات الرمال ، وتلقيها بعيداً ، فلا تستقر أبداً ، على حال ، ولا تعرف لها مكاناً ولا شاطئاً تستريح إليه .

قلت : وأنا ، أيضاً ، تطاردنى رياح الشك وتبعدنى عنك. فأنت امرأة استثنائية لا حدود لأرضها ، ولا نظام لحكمها ، ولا تنطبق عليها قواعد وقوانين العلاقات الدولية ، ولا شىء يحتويها على الإطلاق .

أنت مدينة بلا قوانين ، وامرأة بلا شبيه ، أنت حالة متفردة تماماً .أنت تشبهين الغابات الشاسعة ، التي تعطي الإنسان الهدوء والسكينة والأمان ، وفجأة تبخل عليه بقطرة ماء ، فيموت على ترابها ظمآن . أنت حالة نادرة من النساء . ولذلك أشك فيك دائماً . أسفارك ترهقني، وجنونك يظلمني ، فقد تعلمت أن أجلس مع نفسي وقتاً طويلاً . أغلقت كثيراً من النوافذ ، ونسفت كثيراً من الطرق التي كانت تصل بيني وبين الناس ، لأن الناس تغيروا وأصبحت أخاف منهم ، وأنا إنسان يقودني إحساسي ، ويوجهني قلبي ، وعندي بوصلة غريبة تجعلني أقترب من هذا وأبتعد عن ذاك .

لا أنكر أن شيئاً فيك يجذبني ، حينما يجيء صوتك من بعيد، أشعر أن جيوشاً من الدفء اقتحمت صقيع أيامي ، وأنني خرجت من سجني ، وأنني أعانق وجهك رغم المسافات ، وأحتضن عينيك رغم ظلال الشك ، التي تقف بيننا ، وتسد علينا ألف طريق .

أنا أعرفك تماماً ، وأدرك أنك تعرفينني أكثر من أي امرأة أخرى زارت أيامي وحلت ضيفة على أرضي . وهذه هي المشكلة ، مشكلة المعرفة. فنحن من نسيج واحد ، مشاعرنا واحدة ، وقلوبنا سلكت دروباً كثيرة ، ونحب الجنون ومارسناه طويلاً ، ونحب الناس ونخشاهم ، أنا وأنت سلالة بشرية منقرضة ، ولهذا نقترب كثيراً ، ونبتعد كثيراً ، ونحب كثيراً ، ونشك كثيراً .. أشعر أنني أعيش معك ، وأنك تعرفين كل صغيرة وكبيرة عني ، وأشعر في وقت آخر أن كلا منا بعيد عن الآخر ، وأن الطريق بيننا مليء بالأشواك والمطبات والحفر .

قـالت : ولكن لقـاءنا صدفـة جمـيلة ينبـغى ألا تضيـع . إن الناس العاديين يلتقون فى أى وقت وأى زمان ، ولكن اللقـاء الاستثنائى يشبه المعجزات التى فات زمانها .

يجب أن تكون حـريصاً على أن تظل عـلاقـتنا ، ويبقى هذا الود الجميل الذى يربط بيننا .

قلت : لا أدرى إلى مـتى سـوف أحتـمل جنونك ؟ ولا أدرى إلى مـتى سوف يبقى مـا بيننا سراً نـحاول أن نخـفـيـه ؟ وأشـعـر أحيـاناً أن عـشرات الطرق قد امتـدت بيننا ، وفـجأة أشعر أن كل الطرق مـسدودة ، وأنك تشـبهـين الأحلام الجمـيلة ، التى يجب أن ننسـاها ، حـينما نفـتح عيوننا على ضوء الشمس ، ونجلس مع فنجان قهوتنا الصباحية .

أنت امرأة مجنونة بالحياة ، وأنا مجنون مثلك . ولكن الفرق بيننا الآن أن جنونى يخوننى أحياناً ، فأنا مجنون بعض الوقت ، وأنت مجنونة كل الوقت .

قالت : أجمل الأشياء أن تكون مجنوناً بحب الحياة .

قلت : لقد تكسرت فىَّ أجنحة كثيـرة وفقدت الرغبة فى الطيران، وأحب أن أقف على الأرض وقـتـاً طويلاً ، قـبل أن أمـارس جنونى وأبدأ الطيران .

قالت : وأنا لا أحب هواة الزمن الكسيح .

قلت : لقد سقط كثير من ريش أجنحتى .

قالت : معى سوف ينبت لك ريش جديد .

قلت : لن أحتمل السقوط مرة أخرى .

قالت : ستجدنى دائماً بجوارك .

قلت : قدمى اليمنى مربوطة .

قالت : معى سوف تسقط كل القيود .

قلت : أخاف أن أعود بجناح واحد .

قالت : هذا إذا عدت .

قلت : هل حجزت ميعاداً للعودة ؟

قالت : من يفكر فى النهاية ، لا يبدأ شيئاً .

ولم أجد شيئاً أقوله ، فانطلقنا فى السماء .. ولا أدرى متى سأعود .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مؤلفات الشاعر
فاروق جويدة

- أوراق من حديقة أكتوبر «ديوان شعر» ١٩٧٤ .
- حبيبتى لا ترحلى «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٧٥ .
- أموال مصر كيف ضاعت «اقتصاد»
  الطبعة الأولى - ١٩٧٦ .
- ويبقى الحب «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٧٧ .
- وللأشواق عودة «ديوان شعر » الطبعة الأولى ١٩٧٨ .
- فى عينيك عنوانى «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٧٩ .
- الوزير العاشق «مسرحية شعرية» الطبعة الأولى ١٩٨١ .
- بلاد السحر والخيال «أدب رحلات »
  الطبعة الأولى ١٩٨١ .
- دائما أنت بقلبى «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٨١ .
- لأنى أحبك «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٨٢ .
- شيء سيبقى بيننا «ديوان شعر» ١٩٨٣ .

- طاوعنى قلبى فى النسيان « ديوان شعر »
  الطبعة الأولى ١٩٨٦ .
- لن أبيع العمر « ديوان شعر » الطبعة الأولى ١٩٨٩ .
- زمان القهر علمنى « ديوان شعر » الطبعة الأولى ١٩٩٠ .
- كانت لنا أوطان « ديوان شعر » الطبعة الأولى ١٩٩١ .
- آخر ليالى الحلم « ديوان شعر » الطبعة الأولى ١٩٩٣ .
- قالت « خواطر نثرية » الطبعة الأولى ١٩٩٠ .
- شباب فى الزمن الخطأ الطبعة الأولى ١٩٩٢ .
- دماء على ستار الكعبة « مسرحية شعرية » الطبعة الأولى ١٩٨٧.
- الخديوى « مسرحية شعرية » الطبعة الأولى ١٩٩٤ .
- فاروق جويدة « المجموعة الكاملة ».
- ألف وجه للقمر « ديوان شعر » الطبعة الأولى ١٩٩٧
- عمر من ورق « خواطر نثرية » الطبعة الأولى ١٩٩٧
- قضايا ساخنة جداً الطبعة الأولى ١٩٩٧

رقم الإيداع ٢٢٥٧ / ٩٧
I. S. B. N - 977 - 215 - 205 - 3